

د. أحمد طايبي

# التواصل البلاغي



منشورات زاوية

التواصل البلاغي  
من المصرح به إلى المسكوت عنه

الكتاب : التواصل البلاغي  
من المصرح به إلى المسكوت عنه

المؤلف : د. أحمد طايبي  
لوحة الغلاف : الفنان فؤاد شردودي  
السحب : مطبعة أمنية - الرباط -

الطبعة الأولى : 1429 هـ - 2008 م  
رقم الإيداع القانوني : 2008/0004

ردمك : 9954-438-39-4  
نشر : زاوية للفن والثقافة

50، شارع عمر بن الخطاب، الشقة 1 - أگدال - الرباط

هاتف / فاكس : 037 77 19 15

ب. إلكتروني : zaouia06\_arts@hotmail.com / yahoo.fr

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

د. أحمد طايحي

# التواصل البلاغي من المصرح به إلى المسكوت عنه

منشورات زاوية



الفرح

إلى بنتي حبيبة



# كلمة شكر

أتقدم بالشكر الجزيل إلى السادة الأساتذة:  
محمد عبد الصمد الأجرادي، وفؤاد فهمي،  
ومحمد عفظ، وحسن يوسف، وأحمد  
فرسوخ، على ما أبدوه من ملاحظات وقيمة  
واقترحات سديدة، كانت هادية لنا إلى كثير  
من الافتراضات والنتائج التي ضممتها صحائف  
هذا الكتاب المتواضع.



## تصدير

تعود محبة الأستاذ الناقد أحمد طايبي للدرس البلاغي العربي ، إلى نهاية الثمانينيات من القرن الماضي ، عندما ألقى نفسه منجذبا إلى شمس غوايتين . تمثلت الأولى في قراءة أشعار الشعراء العرب المتقدمين ، وإنجاز بعض الدراسات حولها ؛ وهو ما تحقق له مع طرفة بن العبد ، والشنفرى ، وزهير بن أبي سلمى ، وبشار بن برد ، وأبي الطيب المتنبى . بينما تمثلت الثانية في التحصيل النظري التعقيدي ، مما تمتلئ به العديد من المؤلفات النقدية والبلاغية العربية . فكان أن قيد الله له الأسباب فأنجز بعض القراءات التلخيصية ، همت طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، والعمدة لابن رشيق ، ونهاية الإيجاز لفخر الدين الرازي ، والمقدمة النقدية التي صدر بها المرزوقي شرحه لحماسة أبي تمام . ولاشك أن هذه الإسهامات - التي تنتظر نشرها بين الباحثين - مثلت الذخيرة المعرفية والخلفية المرجعية التي قامت عليها مباحث كتاب "التواصل البلاغي من المصرح عنه إلى المسكوت عنه" ، للناقد أحمد طايبي . فقد دشّن كتابه بمجموعة من الافتراضات/الإشكال ، وجهت استراتيجيته في معالجة قضية التواصل التفاعلي بين أسئلة الدرس

البلاغي وأجوبة المتلقين من ناحية، وبين أسئلة المتلقين وأجوبة الدرس البلاغي من ناحية ثانية. وكل ذلك بهدف تحقيق غاية قصوى، تتمثل في تجاوز شروط التمثلات النمطية والبناءات الثابتة للكتابة الشعرية، إلى الأخذ بممكاناتها التاريخية واحتمالاتها القرائية الحديثة. وهو أسلوب - كما يستشف القارئ الكريم- شائق، من ناحية، لأنه يستهوي الدارس المهتم بالبحث فيه مادة ومنهجاً. وشائك، من ناحية أخرى، لأنه يستعصي على الضبط مادام أنه يرتهن بالحاضر ولا ينفصل عن الماضي في الآن معاً.

إن كل مكون من مكونات "التواصل البلاغي" يرتبط بآخر، بأشكال مختلفة بحسب موجهات الموضوع العام، ثم بحسب موجهات الحس النقدي الذي يتمتع به صاحب المشروع.

هذا، وقد أسعفت الناقد عدة عوامل في إثارة قضايا من قبيل: الحدود النظرية بين مباحث البلاغة العربية، وازدواجية المعنى في علاقته بمقاصد المتكلمين، والامتداد التاريخي للشاهد البلاغي والذخيرة اللغوية المتوارثة لدى المتلقين في القرن الواحد والعشرين، يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

أ- استلهاهم الأدوات والمفاهيم الاجرائية من حقل الشعرية العربية القديمة، ومن حقول نظريات التواصل، والتداوليات الحديثة، إضافة إلى طروحات نظرية التلقي الألمانية التي تعتبر- كما قال الدكتور محمد العمري- خير عدل منصف للبلاغة العربية اليوم.

ب- المزاوجة بين التنظير والممارسة، في فضاء يكشف -كما يؤكد

أحمد طايبي نفسه- عن مزيد من وعي الذات البلاغية بأهمية التداخل القوي والتقاطع الشديد، بين المداخل النظرية والتمظهرات التأويلية . ولعل هذا الاقتناع الراسخ لدى الباحث، بأن القيم الوجدانية والفكرية والجمالية التي تبنيتها شواهد البلاغة العربية، في كل لحظة وحين، تظل أوسع بكثير من أن تحصر في غايات تعقيدية ثابتة، أو أن ترتعن بقراءات تأتم بما قبلها في صورة مكرورة، هو الذي يفسر غياب الخاتمة من البناء المعماري للكتاب .

ت- الهاجس البيداغوجي الذي حرك الناقد بقوة في اتجاه بناء قراءة مفتوحة لكثير من الشواهد البلاغية . إنها المصاحبة المستمرة للمنهج التربوي، والمعاشرة الطويلة للدرس البلاغي تعليماً وتلقيناً .

وبعد، لي اليقين أن هذا الكتاب الجديد، الذي يعزز رصيد الأستاذ أحمد طايبي في مساره النقدي، بعد كتابه المتميز "القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة"، وما سيتلوه، إن شاء الله، من إنتاجات فكرية ونقدية، يؤذن بمستقبل نقدي مغربي أكثر رحابة؛ ومنه -جلت عظمتة- العون والتسديد .

وإذا رأيت من الهلال نموه      أيقنت أن سيصير بداراً كاملاً

الدكتور عز الدين ثلجي



## قائمة الرموز المستعملة في الدراسة

- ب ، ت : بدون تاريخ

- ت : توفي

- تح : تحقيق

- ترج : ترجمة

- ج : جزء

- ح : حديث

- ص : صحيفة

- ط : طبعة

- ع : عدد

- ق : قرن

- مج : مجلد

- هـ : هجرية



«اعلم علمك الله الخير، وذلك عليه، أن أحق  
العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ - بعد المعرفة  
بالله جل ثناؤه - علم البلاغة ومعرفة الفصاحة  
الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق  
بالحق... المدلول به على صدق الرسالة وصحة  
النبوة».

(الصناعتين)، أبوهلال العسكري، ص.251.





## 1. مدخل

كثيرة هي الأبحاث والدراسات العربية التراثية، التي أخذت على عاتقها مسؤولية مقارنة الوضع المعرفي لعلم البلاغة - باعتباره علماً كلياً<sup>(1)</sup> -، وذلك منذ البدايات الأولى لنشوء ما يمكن نعتة باتفاق الحاجتين: الشخصية والتاريخية مع السلطتين: الشرعية<sup>(2)</sup> والشعرية في الثقافة العربية الإسلامية. فقد استفرغت جماعة من اللغويين والنحاة والأصوليين والبلاغيين المتكلمين<sup>(3)</sup> جهودها، في سبيل اجتراف مسالك وقنوات تمكنها من فهم خصوصيات الأسلوب القرآني وإدراك ضوابط إعجازه البياني. وقد تم لها ذلك من خلال كلامها في الذات الإلهية والصفات، وعدل الله في الدنيا والآخرة والعالم وأحواله، وعلاقة الصفات الإنسانية بالصفات الإلهية.

---

(1) (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) حازم القرطاجني، ص. 88 و226. وانظر مقال (البلاغة العامة والبلاغات المعممة) محمد العمري. مجلة فكر ونقد، ع: 25، 2000. ص. 67-68.

(2) يتزع اتفاق الحاجة الشخصية مع السلطة الشرعية نحو الايديولوجي، بشكل لافت جداً، خاصة في مجتمعات سلطوية- فكرية وسياسية- كل فئة أو جماعة ترى نفسها في النص القرآني، وتسقط أمنيته عليه، ترى فيه دفاعاً عن مصالحها وهجوماً على خصومها؛ إنه منطق الهدم والبناء. (انظر: الهيرمينوطيقا والتأويل) حسن حنفي (كتاب مشترك)، ص. 16.

(3) نذكر منهم، على سبيل المثال: سيبويه، والفراء، ومعمربن المثنى: أبو عبيدة، والجاحظ، والخطابي، والرماني، والقاضي عبد الجبار، والباقلاني، والزمخشري...

أما في ما يختص بجنس الشعر الذي استحكمت ملكته في الوعي الجمعي العربي، فقد ظل يوجه التفكير البلاغي القديم. فعلى الرغم من أن حديث البلاغيين والنقاد القدماء، لم يغفل أنماطاً تعبيرية متميزة في الثقافة العربية، كالخطابة والترسل والمقامة والنادرة والخرافة، فقد شكل ديوان العرب النموذج أو المعيار الجمالي الذي بلور أغلب ملامح جهاز البلاغة العربية آنذاك. لقد تحولت بلاغة الشعر إلى سلطة رمزية يترافع إليها علماء اللغة والبلاغة للدفاع تارة عن الحكمة العربية وإثبات خصائص التعبير الجمالي فيها، وتارة عن البنية الاعجازية في القرآن الكريم.<sup>(1)</sup>

هذا، ولا شك أن كثيراً من «الحدود النظرية»<sup>(2)</sup> بين مباحث البلاغة العربية، لم تكن - مع نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع - قد عرفت طريقها نحو النضج في التقنين والاستواء في التقعيد، لدى كثير من الباحثين والنقاد المتأملين في أسرار الخطاب الشعري تخصيصاً<sup>(3)</sup>. وهي وضعية استلزمت من النقاد والمنظرين البلاغيين المتأخرين<sup>(4)</sup>، على

---

(1) (البلاغة ومقولة الجنس الأدبي) محمد مشبال، مجلة فكر ونقد، ع: 25، 2000. ص. 82-90.

(2) يعرف أبو يعقوب السكاكي الحدَّ قائلاً: «الحدّ عندنا دون جماعة من ذوي التحصيل، عبارة عن تعرف الشيء بأجزائه أو بلوازمه أو بما يتركب منهما تعريفاً جامعاً مانعاً. ونعني بالجامع كونه متناولاً لجميع أفراده إن كانت له أفراد وبالمانع كونه آلياً دخول غيره فيه». مفتاح العلوم، ج: 1، ص. 188.

(3) يمكن التذليل، هنا، بأبي العباس ثعلب، وعبد الله بن المعتز، وابن قتيبة، والمبرد، وقدامة بن جعفر، والقاضي الجرجاني...

(4) من بينهم، عبد القاهر الجرجاني، والخفاجي، والسكاكي، وابن الزملكاني، وحازم القرطاجني، والمظفر العلوي، وفخر الدين الرازي، والخطيب القزويني، والسجلماسي، وابن البناء المراكشي...

اختلاف تخصصاتهم وتباين مذاهبهم، أن يركبوا لها من التبصر كل صعب ذلول، فألفوا لهذه الغاية كتباً جمعت بين التنظير العلمي والتحليل الفني الجمالي للنصوص الإبداعية.

وأيّاماً ما كانت المضمرات والأسباب التي تقف خلف قضية التحديد في المظان البلاغية، فإن المتلقي في القرن الواحد والعشرين كثيراً ما يلقي ذاته أمام إشكال تواصل، تقضي به طبيعة المصطلحات البلاغية عامة، ومصطلحات المحسنات البديعية خاصة - لفظة كانت أم معنوية<sup>(1)</sup> - مما يدفعه ويحثه إلى الاستخبار عن الفائدة المرجوة من عرض تصورات وآراء كثير من منظري علوم البلاغة العربية في المسألة الواحدة، أو القضايا المتداخلة والمتشابكة؛ كما هو الشأن لحظة الحديث عن الحقيقة والمجاز، والمشارك اللفظي (Homonymie) والاستعارة والتشبيه . . . ، والعمل على مواجهة تصورات ومستخلصات بعضهم البعض. فهل الأمر يتعلق بقراءة وصفية تلخيصية لمختلف مظاهر الإعمال<sup>(2)</sup> للمصطلحات البلاغية، ومن ثم وجه بيان وظيفتها النقدية والإجرائية لدى الباحثين في أسرار البلاغة العربية وحقائقها؟ أم أن الأمر يتعلق بهاجس تربوي تحصيلي، كان قد رافق إنتاج المعرفة وتداولها في الثقافة

---

(1) انظر (مواهب الفتحاح في شرح تلخيص المفتاح) لأحمد بن محمد بن يعقوب الولايلي المغربي، ضمن كتاب (شروح التلخيص) ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ج 4، ص. 322-324.

(2) الإعمال مصطلح دارج في النحو العربي، يحيل إلى نظرية العامل النحوية، التي تستوجب كون الفعل يعمل الرفع في الفاعل والنصب في المفعول به . . . (انظر مجلة المناظرة، ع 6-1993 ص. 10).

العربية، ولا يزال قائماً إلى اليوم<sup>(1)</sup>؟ ولعل ما يجده القارئ في كتب الشروح البلاغية لهذا النموذج السلطة، لخبر بيّنة على ذلك. أم أن الشأن لا يعدو أن يكون فقط صورة من صور مصارخة مذهب فكري على حساب آخر، أو موالاة موقف إيديولوجي على غيره؟

ثم إن هذا الطرح، من الزاويتين النظرية والتاريخية، قد يدفع الطالب المتتبع إلى الاستفسار عن أسباب التضخم والتضارب في تسمية المصطلح البلاغي وتوظيفه. كما هو حاصل مع: الكناية والتورية<sup>(2)</sup> والتوجيه<sup>(3)</sup> والاتساع والمجاز والرمز والإيهام والتعمية والتخيير والاستخدام والمغالطة المعنوية<sup>(4)</sup> والإرصاد والتسهيم ومراعاة النظر

---

(1) يقول أبو هلال العسكري (ت 395هـ): «اعلم أن أحق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه، علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق» (الصناعتين)، ص. 251.

(2) انظر (شروح التلخيص)، ج. 4، 240-246، 323.

(3) يقول ابن حجة الحموي بهذا الشأن: «التوجيه مصدر توجه إلى ناحية كذا، إذا استقبلها وسعى نحوها. وفي الاصطلاح أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالاً مطلقاً من غير تقييد بمدح أو غيره. والتوجيه هو إيهام المتقدمين». ويميز الحموي بين التورية والتوجيه قائلاً: «قد أدخل جماعة من العلماء نوع التوجيه في التورية وليس منها. والفرق بينهما من وجهين: أحدهما أن التورية تكون باللفظ المشترك والتوجيه باللفظ المصطلح عليه، والثاني أن التورية تكون باللفظة الواحدة والتوجيه لا يصبح إلا بعدة ألفاظ ملائمة». (خزانة الأدب وغاية الأرب)، ص. 135-136.

(4) يقول ابن الأثير (ت 637هـ) معرفاً المغالطات المعنوية: (وهذا النوع من أحلى ما استعمل من الكلام وألطفه، لما فيه من التورية. وحقيقته: أن يذكر معنى من المعاني له مثل في شيء آخر ونقيض. والنقيض أحسن موقعاً والطف مأخذاً). (المثل السائر)، ج 2، 215. ويقول عنها، يحيى بن حمزة العلوي: (هي أن تكون اللفظة الواحدة دالة على معنيين على جهة «الاشتراك» فيكونان مرادين بالنية دون اللفظ. وذلك لأن الوضع في اللفظة المشتركة أن تكون دالة على معنيين فصاعداً)، (الطراز)، ج 3، 62-63.

والتناسب والائتلاف والتوفيق والجناس والمطابقة والتكافؤ والتضاد والتقابل والتماثل والتشابه. يقول الدكتور محمد مفتاح بهذا الشأن: «وقد بذل البلاغيون العرب مجهودات كبيرة في رصد البديعيات، ولكنهم اكتفوا بالتصنيف والتلقيب دون البحث عما وراء ذلك من مقاصد وحوافز جعلت تلك المحسنات تتمظهر في أنواع مختلفة وفي كيفيات متنوعة»<sup>(1)</sup>. ويقول الدكتور أحمد أبو زيد بخصوص هذه القضية: «مما زاد من تضخيم قاموس المصطلح البلاغي، كثرة التفريعات. فالنوع الواحد من أنواع البديع ينقسم إلى أقسام، والأقسام تتفرع إلى فروع، يُخترع لكل قسم وكل فرع مصطلح خاص، وزاد من تضخمه كذلك تعدد الأسماء والمصطلحات في تسمية القسم أو الفرع الواحد. كل يسمي بما شاء بدعوى أنه لا مشاحة في الأسماء»<sup>(2)</sup>. وهكذا رأينا الصورة التعبيرية الواحدة تأخذ عند كل مؤلف اسماً خاصاً»<sup>(3)</sup>.

هذا من ناحية، أما من ناحية ثانية، فإن الذي يُستفاد من فحص

---

(1) انظر (تحليل الخطاب الشعري) لمحمد مفتاح، ص. 39.  
(2) مقتضى هذا المبدأ، أن المقصود من المعاني أن تُدرك في استقلالها عن الألفاظ، فإن حصل هذا الإدراك على الوجه الذي ينبغي، فلا ضير في أن تتوارد على هذه المعاني مصطلحات وعبارات متعددة ومتفاوتة في مدلولها اللغوي والاشتقاقي. (في فقه المصطلح الفلسفي العربي) - طه عبد الرحمان، مجلة (المناظرة)، ع 6-1993، ص. 74.

(3) المجلة نفسها، ص. 44. يرى ابن البناء المراكشي، في كتابه (الروض المريع) أن اختلاف البلاغيين في المصطلحات «ليس مخلاً بالصناعة، فإنه إذا وقع الاتفاق على الصور الجزئية الشخصية التي فيها فلا يضر الاختلاف في إدراجها تحت أي كلي كان، ولا تسميتها بأي اسم كان، لأنه لو قدرنا أنها لا اسم لها أصلاً، لم تبطل حقيقتها»، ص. 173 نقلاً عن أحمد أبو زيد ص. 48.

منطوق العديد من نصوص المدرسة السكاكية<sup>(1)</sup>، ومن سلك مسالكها من بعض البلاغيين والشرح التابعين ومن تبعهم من أهل الحواشي والمطولات والمختصرات، هو أنه تم النظر إلى ثلاثية البلاغة العربية - المعاني والبيان والبدیع - على أساس أنها علوم متعايشة و«متأخذة»<sup>(2)</sup> فيما بينها، تأخذ تداخل وتساهم؛ وإن بدا أن كل علم منها مستقل بنفسه عن غيره، كما هو جلي من خلال ما صنعه الخطيب القزويني (ت 739 هـ) في كتابيه: (التلخيص) و(الإيضاح).

فعلم البيان - كما يقول أبو يعقوب السكاكي (ت 626 هـ) «شعبة من علم المعاني»<sup>(3)</sup>. كما أن مباحث علم البديع، الذي تعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة<sup>(4)</sup>، ظلت تقف تالية، بله، مكملّة لمباحث علمي المعاني والبيان. يقول أبو يعقوب السكاكي في القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم): «وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيتها، وأن الفصاحة بنوعيتها مما يكسو الكلام حلة

---

(1) على الرغم من أن قراءة السكاكي للتراث البلاغي هي التي يتواصل معها القارئ حالياً ومنذ قرون خلت، فإنها تظل مع ذلك تمثل تصوراً للمدرسة، لا صورة كلية ونهائية للبلاغة العربية. إن البلاغة العربية أوسع بكثير من هذا التصور. وقد صار لدينا اليوم من الوسائل المنهجية ما يؤهلنا لمراجعة قراءة السكاكي. (انظر المقدمة التي صدر بها، محمد العمري كتابه: (البلاغة العربية: الأصول والامتدادات). ومقاله (انفصال الدرس الأدبي عن المحيط المعرفي) ضمن موقعه على الأنترنت. (2) (مفتاح العلوم) للسكاكي، ضبط هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ص. 6.

(3) (الإيضاح في علوم البلاغة) للخطيب القزويني (ت 739 هـ). شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط. 3، 1993، ج. 54/6.

(4) (مفتاح العلوم)، ص. 162. وانظر كذلك، ص. 329-330.

التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين، فهاهنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يُصار إليها قصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعراف منها، وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ.<sup>(1)</sup> ويقول علي السيد الشريف الجرجاني (ت 816 هـ): «وعلم البديع ذيل لعلمي المعاني والبيان داخل تحتها».<sup>(2)</sup>

وهذا أبو جعفر شهاب الدين الرعيني الغرناطي (ت 779 هـ)، يوضح شروط العلم بوجوه تحسين الكلام قائلا: «العلم بوجوه تحسين الكلام لا يسمى بديعاً إلا بشرطين: أن يكون ذلك الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، وأن تكون كيفية طرق دلالاته معلومة الوضوح والخفاء. فالشرط الأول هو علم المعاني، والشرط الثاني هو علم البيان، فلو عدم الشرطان أو أحدهما من الكلام، لم يكن العلم بوجوه تحسين ذلك الكلام بديعاً... فالمعاني والبيان بالنسبة إلى البديع، كالحیوان والنطق بالنسبة للإنسان؛ فلا يوجد البديع بدونهما، كما لا يوجد الإنسان بدون الحياة والنطق...».<sup>(3)</sup>

(1) نفسه، ص. 179. يرى الأستاذ عبد العزيز عتيق، في كتابه (علم البديع) أن السكاكي لم يكن ينظر إلى علم البديع بوصفه علماً مستقلاً، قائماً بذاته، وإلا لكان عليه أن يعامله معاملة علمي المعاني والبيان، وأن يعطيه من العناية ما أعطاه لهما. ص. 42 - (دار النهضة العربية بيروت، 1985).

(2) انظر (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) لحاجي خليفة، ص. 45. في السياق ذاته يعرف ابن خلدون علم البديع قائلاً: «هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التتميق، إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع يقطع أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لا شتراك اللفظ بينهما وأمثال ذلك». مقدمة ابن خلدون، ج 1، ص. 551.

(3) (طراز الحلة وشفاء الغلة)، تخ: رجاء السيد الجوهري. مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص. 79 و 91.

وإذ نحن بصدد الحديث عن المحسنات البديعية وتداخلاتها، فإنه ليس في نيتنا الاستطراد إلى الإمام بها كلية، أو التعمق في استجاء خصوصياتها جملة، لأنها محوجة إلى إطالة كثيرة، كفتنا إياها كتب البلاغيين والنقاد، الذين بذلوا مجهودات جسيمة في رصدها تصنيفاً وتلقيباً. وإنما نروم واحدة من محسناتها المعنوية بالدراسة والتحليل؛ لأن النماذج البلاغية من النماذج البلاغية وإن التبتت مسالكها.

إن مبحث التورية في علم البديع العربي ممتع ومشكل في آن، وبخاصة عند الدارسين والباحثين في حقائق التواصل مع البلاغة العربية وأسرارها. وإنه ليحسن بنا، قبل الشروع في مقارنة هذا المصطلح وإدراك ما يختزنه من طاقات جمالية وقيم فكرية ووجدانية، سواء في النصين القرآني والحديثي، أم في النص الشعري، ضبط معناه بالعودة إلى المدونة اللغوية، وإلى ما استوعبناه من دلالات من خلال تحديدات بعض علماء البلاغة والنقد.

قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يُؤاري سوء أخيه قال يا ويلتا أعجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب فأؤاري سوء أخِي فأصبح من النادمين﴾<sup>(1)</sup>.

وقال جل شأنه في سورة الأعراف: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يُؤاري سوءاتكم وريشاً ولباساً التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾<sup>(2)</sup>.

(1) الآية، 31.

(2) الآية، 26.



وجاء في (لسان العرب) لابن منظور (ت 711هـ): «وَرِيْتُ الخبر: جعلته ورائي وسترته... وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا أراد سفراً ورّى بغيره أي ستره وكُنّي عنه وأوهم أنه يريد غيره<sup>(1)</sup>. وأصله من وراء، أي ألقى البيان وراء ظهره. ويقال: واريته ووريته بمعنى واحد. وفي التنزيل: ما وُوريَ عنهما؛ سترَ على فُوعِلَ، وُقُريَ: وُريَ عنهما، بمعناه. ووريْتُ الخبر أوريته توريةً إذا سترته وأظهرت غيره، كأنه مأخوذ من وراء الإنسان لأنه إذ قال وريته فكأنه يجعله وراءه حيث لا يظهر، ووريْتُ عنه: أردتُه وأظهرت غيره... والتورية: السّتر. واستوريت فلاناً رأياً: سألتُه أن يستخرج لي رأياً، ويحتمل أن يكون من التورية، وهو الكناية عنه<sup>(2)</sup>».

وقد عرف زكي الدين بن أبي الأصبع (ت 654هـ) التورية بقوله: «ويُسمى التوجيه، وهي أن تكون الكلمة تحتمل معنيين، فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله<sup>(3)</sup>».

(1) انظر (صحيح البخاري) كتاب الجهاد والسير، (باب من أراد غزوة فَوَرّى بغيرها) ح [2984] وح [2985].

(2) مادة: وري - ط دار الجليل ودار لسان العرب، بيروت، ج 6. 1988.

(3) (تحرير التحرير)، تخ: حفني محمد شرف 1995، القاهرة، ص. 268.

إن عدولنا عن الأخذ بالتعريفات البلاغية الأخرى، مرده إلى أن جملها - وإن لم تأت على طريقة سواء في اللفظ - تتوحد من حيث الغاية. وإن شئت التوسع، فارجع إلى المظان التالية وقارن بينها وبين ما جاء في التعريفات المثبتة بالدراسة:

- (شروح التلخيص)، التفتازاني وأبو يعقوب الولاتي المغربي وبهاء الدين السبكي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ج 4، ص. 322-326.

- (المتزج البديع)، ص. 262-270.

- (الطراز)، ج 3، ص. 62-63.

- (البديع في نقد الشعر) لأسامة بن منقذ (ت 584هـ)، ص. 60 =

ويعرفها ابن حجة الحموي (ت 837 هـ) قائلا: «التورية يقال لها الإيهام والتوجيه والتخيير، والتورية أولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى، لأنها مصدر ورّيت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره، كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر. وهي في الإصطلاح أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك، ولأجل هذا سمي هذا النوع إيهاما»<sup>(1)</sup>.

وهذا أبو جعفر الغرناطي يصفها بقوله: «واعلم أن التورية من البديع بمنزلة الإنسان من العين، وسمت في البلاغة سمو الذهب العين... وإنما ينبغي أن تكون [التورية] بالألفاظ المصونة، المنزلة منزلة الجواهر المكنونة، فلا تستعمل إلا حيث تكون لمحاتها أحسن من لمحات العيون... والإتيان بها على هذا الوجه عزيز الوجود، واقع من البراعة موقع الواسطة من العقود»<sup>(2)</sup>.

وهذا الذي ذهب إليه أبو جعفر، يتأخذ إلى حد كبير مع ما لاحظته ضياء الدين ابن الأثير قبله (ت 637 هـ)، من أن إجادة حذاق الشعراء في

= (مفتاح العلوم)، ص. 180.

-(المزهر)، ج 1، ص. 369-370.

-(إنشاد الدراية لقراء النقاية) للسيوطي، ص. 159.

-(الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع) لابن زاكور الفاسي، تح: بشري

البدوي، ط. 1/2002، ص. 134 و148.

(1) (خزانة الأدب)، ص. 295. و(طراز الحلة)، ص. 447.

(2) (طراز الحلة وشفاء الغلة)، ص. 448 و475.

هذا الفن وكشف المتلقين للمسكوت عنه ، من الأمور المشتكلة ؛  
«فالمسلك إلى مثل هذه المعاني وتصحيح «المقصد» فيها عسير جداً ، لا  
جرم أن الإجادة فيها قليلة» .<sup>(1)</sup>

من خلال هذه النصوص التمثيلية ، المحددة لمعنى التورية  
وقيمتها ، تتضح لنا بعض الخلاصات نجملها في النقاط التالية :

أ) إن المتكلم (Locuteur) ، يذكر وحدة معجمية ، تتضمن معنيين  
حقيقيين أو حقيقة ومجازاً . وأن المعنيين ينقسمان إلى قسمين : الأول  
مصرح به ، يبين المأخذ من الوحدة المورى بها ، وهو غير مرغوب فيه من  
قبل المتكلم . والثاني مسكوت عنه ، بعيد المأخذ يجسد مقصدية<sup>(2)</sup> المتكلم  
(Intentionnalité) . جاء في (لسان العرب) لابن منظور : أن (المصرح به)  
من الشيء ، هو الخالص من كل شيء ، وهو ضد الكناية . فنحن نقول :  
صرّح فلان بما في نفسه : أبداه وأظهره . ومثّل مصرّح : واضح جلي . أما  
لفظة (سكت) ، فتستبطن معنى تعمد السكوت ، وفيه إعراض عن الشيء  
ولم يتكلم فيه . يقال : أصاب فلان سكّات إذا أصابه داءٌ منعه من  
الكلام . و(السكّت) هو قليل الكلام ؛ لكن إذا تكلم أحسن . ومن ههنا ،  
يتضح أن السكوت ينوس بين الاضطرار والاختيار .<sup>(3)</sup>

هذا ، والمسكوت عنه من المصطلحات المتداولة في حقل  
الدراسات اللغوية العربية القديمة ، وبخاصة عند الأصوليين . كما أنه من

---

(1) (المثل السائر) ، ج 219/1 ، وانظر (منهاج البلغاء) للقرطاجني ، ص 310 .  
(2) بخصوص هذا المفهوم ، يستحسن الرجوع إلى كتاب الدكتور محمد مفتاح  
(دينامية النص) ط 1 - 1987 ، منشورات المركز الثقافي العربي ، البيضاء . ص .  
46 ، 50 ، 82 ، 83 ، 193 .  
(3) مادة (صرح) ومادة (سكت) .

المصطلحات المعتمدة في حقل الدراسات الغربية المقاربة للخطاب البشري بعمامة<sup>(1)</sup>. فقد اعتمده الأصوليون في سياق تأويل الخطاب الذي يدل باطنه على غير ما يدل ظاهره، فلا يصرح من المعنى إلا ببعضه. والمسكوت عنه. كما يقول الهادي الجطلاوي. ملمح إليه في التركيب ببعض قرائنه؛ ولهذا فهو قضية لا تكمن إثارته إلا في نطاق التركيب فيما يتحمله من المعاني. والمسكوت عنه ليس لفظاً محذوفاً، بل هو معنى محذوف، يختلف باختلاف المؤولين في مقاصدهم.<sup>(2)</sup>

ب) إن العلاقة التواصلية التي بينها المتلقي مع وحدة معجمية موری بها عن المعنى المقصود، ذات طبيعة شرطية. حيث يتحول المتلقي إلى فاعلية تابعة لمقتضى حال الباث. وإن كان الأمر يتعلق بتحول دلالي (Transformation Sémantique) وافتراضات مسبقة (Pré-suppositions). توازي الخضوع الكلي لمقصديته. إن القصد دلالة على النية الإرادية الواعية من المتكلم. الباث، بما ينتج عنه تحديد المعاني ورصفها بشكل مسبق ونهائي. ومعنى النية والإرادة في القصد، يماثل أو يطابق دلالة (الغرض) التي تتضمن في المدونة اللغوية معنى «الهدف والغاية والقصد».<sup>(3)</sup>

(1) انظر :

- "Élément pour une théorie pragmatique de la communication". Michael Totschnig, in: [www.er.uqam.ca/nobel](http://www.er.uqam.ca/nobel).

(2) (قضايا اللغة في كتب التفسير)، ص. 331.

(3) انظر مقال (البلاغة العربية من حيث هي موقف تلق) لصالح بن غرم الله، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، ع2005/91، ص. 34. وكتاب (مجهول البيان) لمحمد مفتاح، ط. دار توبقال. 1990، ص. 104-106.

ت) إن مهمة المتلقي ، المؤسسة على بلورة علاقة حوارية - تفاعلية بينه وبين السياق النصي الذي انضبطت له الألفاظ المضللة ، لهو أمر في غاية الصعوبة والإشكال . ذلك أن جامع التواصل بين أفق التوقع أو الانتظار ، (Horizon d'attente) المفترض في تلك الألفاظ ، وهو ما يسمى بالسِّن الأول (Code) ، وأفق التوقع المفترض في تجربة القراءة ، وهو السِّن الثاني ،<sup>(1)</sup> غامض وملتبس ، بالرغم من اعتماد الأول على قرائن وموجهات سياقية نصية ، وأخرى خارج - نصية .

هذا ، وقد حدد هانس روبرت ياوس (H.R.Jauss) العوامل الأساسية التي تتساقط في تكوين مفهوم أفق التوقع عند الجمهور المتلقي ، في النقط التالية :<sup>(2)</sup>

1 - التجربة المسبقة التي يتوفر عليها الجمهور المتلقي في مجال الجنس الذي ينتمي إليه النص الفني . بمعنى ، معرفته بالمعايير الجمالية السائدة أو بالشعرية المتعلقة بالجنس الأدبي خاصة .

2 - افتراض إدراك شكل وموضوعاتية (Thématique) الآثار السابقة ، وضبط علاقاتها التناسية وباقي الأعمال الإبداعية التي تنتمي إلى نفس السياق التاريخي .

3 - إدراك التعارض القائم ، بين الوظيفة الشعرية والوظيفة العملية للغة . أي بين العالم التخيلي والواقع اليومي المباشر . والحق أن إدراك

---

(1) W. R. Jauss (Esthétique de la Réception et Communication littéraire) .

ترج : سعيد علوش ، مجلة (الفكر العربي المعاصر) ، ع 38/1986 ، ص . 108 .  
(2) (Pour Une herméneutique littéraire) , p. 430 .  
(Pour Une Esthétique de la Réception) , p. 49-52 .

المتلقي لأوجه الاتصال والانفصال بين اللغتين، سيمكنه من «تبين عمل جديد في ضوء الأفق المحدود لتوقعه الأدبي، وكذا في ضوء توقع أكثر اتساعاً، ذلك الذي توفره له تجربته الحياتية».<sup>(1)</sup>

ولعلنا نؤسس بما استخلصناه من النصوص البلاغية المستدل بها أنفاً، لصياغة بعض التساؤلات الملحة والمقلقة، التي تفرض نفسها بقوة على أطراف التواصل البلاغي، إذ يمكن طرحها بالصورة التالية :

1- ما طبيعة الاستراتيجية التي يجب على المتلقي أن ينتهجها، لكي يتمكن من إبراز الخلفيات المتحركة في مقصدية المرسل (Destinateur)؟  
بتساؤل آخر: كيف يمكن الإمام بالمعنى الثاني (المورّث عنه) الذي إليه يروم المتكلم عبر وحدة بلاغية متضمنة لمعنى أول (مورّث به) غير مقصود؟  
2- ما هي المقاييس التواصلية التي يمكن اعتمادها، في تحديد قوة أو ضعف التخيب (Déception) الذي يستشعره القارئ لحظة شروعه في قراءة ألفاظ مزدوجة المعنى؟

3- هل حقاً إن كلام الشعراء يخالف مقاصدهم؟  
4- إذا كان مدار التورية والغاية التي تسعى إليها، هي تحقيق مقصدية المتكلم عبر استخدام وتوسيع لغويين واسعين<sup>(2)</sup>، فهل معنى هذا أنها تخلق الطاقة التخيلية والقدرات التصويرية التي يمتلكها المتلقي؟ وإذا لم يكن هذا كذلك، فمتى تشرع الذات القارئة في ممارسة لعبة المجاوزة والتحدي، وتدشن انزياحها عن سياق المعاني الظاهرة، وبالتالي إنجاز ما

---

(1) (Pour Une Esthétique de la Réception), p. 52.

(2) انظر بهذا الخصوص : Jean-claude Pariente, (Le langage) [notions de philosophie I]. Edit. Gallimard, 1995, p. 371.

تشف عنه الوحدات المعجمية من محتويات دلالية؟

5- من ذا الذي منح قراءة صاحب (العمدة) و(المنزع البديع) و(تحرير التحبير) و(المثل السائر) و(وطراز الحلة) و(إتمام الدراية) و(خزانة الأدب) و(المطول) و(المختصر)<sup>(1)</sup> . . . مشروعية الإقرار ومصداقية الحكم، بأن هذه الوحدة المعجمية تتضمن تورية، فهي بهذا الاعتبار تحتل معنيين متنافسين: قريب موري به غير مراد، لأنه يتبادر إلى الذهن أول وهلة، وبعيد موري عنه يمثل التصور الأصلي في ذهن المتكلم؛ إذ لا يمكن تحقيقه إلا بإعمال العقل وتحريك الخاطر له؟

6- هل حقا إن «علم البديع سهل المأخذ»<sup>(2)</sup> كما ذهب إلى ذلك ابن خلدون؟

7- وهل يمكن القول بأن جمالية التواصل البلاغي تسقط أو تتلاشى، عندما يُؤْتَى المتلقي (مستمعا/ قارئا) من سوء إفهام المتكلم (المرسل/ المبدع)، ويؤتى المتكلم من سوء فهم المتلقي؟ بصيغة أخرى: أليس من حقنا الإدعاء بأن التورية حضورها كعدمها في حقل البلاغة العربية، ما دام أنها تدخل في خانة «المحسنات» التي يُؤْتَى بها لمجرد تحسين الكلام، وإحداث الشعور بالطرافة والإحساس بما في الأسلوب من زخرف، يخف به حيناً فيغدو رشيقاً، وينوء بحمله حيناً آخر فيكون غثاً ثقيلاً؟<sup>(3)</sup>

(1) كلاهما لسعد الدين الفتازاني (ت 791هـ) أو (ت 792هـ).

(2) المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت. ط 1/ 1961. ص. 1066.

(3) انظر مقال الدكتور، تمام حسان (المصطلح البلاغي القديم، في ضوء البلاغة الحديثة)، مجلة (فصول)، ع 3-4/ 1987، ص. 32.

8- ثم ألا يمكن احتساب «المسكوت عنه» في مبحث التورية بخاصة، بله، في مباحث شتى تماثله في البلاغة العربية، صورة من صور بلاغة المكرهين والمهمشين والمقموعين والمغضوب عليهم في التربة والمناخ العربيين؟<sup>(1)</sup>

هذه، إذن، بعض القضايا والإشكالات التي نروم وضعها مدار دراستنا. فكيف ترانا ستعامل معها، في مبحث نعتناه أنفا بالمتع والمشكل؟

## 2- في مسألة الاشتراك اللفظي

ما من شك في أن مسألة الاشتراك اللفظي، جسدت أهم النقاط الحساسة التي حركت إشكالية القراءة وآليات تأويل الخطاب القرآني، وبخاصة لدى أغلب الفرق الكلامية التي كانت محكومة، آنئذ، بالدفاع عن منظومتها الفكرية ومصالحها السياسية. حقا، إنه بمجرد أن يصبح نص ما نصاً مقدساً، داخل ثقافة ما، فإنه يغدو مرتعاً خصباً لسلسلة من القراءات المتباينة، محدثاً بذلك حالة من الترف التأويلي.<sup>(2)</sup> هكذا،

---

(1) يذهب الدكتور جابر عصفور إلى القول، بأن التراث العربي يتوفر على بلاغتين لا بلاغة واحدة كما تعلمنا ودرسنا: البلاغة الرسمية التي تعرفناها في كتب البلاغة السائدة ابتداءً من منظري القرن الثالث للهجرة، وانتهاءً بشرح «التلخيص» في القرن التاسع للهجرة. وهي البلاغة التي أنتجها البلغاء والمنظرون الذين كانوا على وفاق مع الدولة، أو في موقع الخدمة لها، أو العمل أداة من أدواتها، وهم نقليون في الأغلب الأعم، ويؤمنون بالتقليد في كل الأحوال. وبلاغة أخرى مقموعة أنتجتها المجموعات الهامشية التي لعبت دور المعارضة، والتي كانت على خلاف مع سلطة الدولة القائمة، ابتداءً من الدولة الأموية، وانتهاءً بالدول المتأخرة التي صحبت انهيار الحضارة العربية. (المجاز والتمثيل في العصور الوسطى). كتاب مشترك، دار قرطبة، البيضاء، ط2. 1993، ص. 6.

(2) (التأويل بين السيميائيات والتفكيكية) أمبرطو ايكو، ترج: سعيد بنكراد، ص. 63.



ضمن هذا الفهم، حدد أهل العلم باللغة العربية المشترك اللفظي - وإن لم تأت تحديداتهم على كلمة سواء - بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين «فصاعداً» على جهة الاشتراك. واستدلوا على وجوب وقوعه بأن الألفاظ متناهية، بينما المعاني غير متناهية؛ لذلك فإن الأمر في معاناتها يكون أشد، لأنها نتائج العقول وبنات الأفكار،<sup>(1)</sup> ومن ثم، فإذا وزع على غير المتناهي لزم الاشتراك. ولا خلاف عندهم أن الاشتراك على خلاف الأصل،<sup>(2)</sup> لذلك وجب تأويله. يقول يحيى بن حمزة العلوي (ت 749 هـ): «إن المعاني لا نهاية لها، والألفاظ متناهية، وما يكون بغير نهاية لا يكون تابعا لما له نهاية، وإنما كانت الألفاظ متناهية، لأنها داخلية في الوجود. . . . وإنما كانت المعاني بلا نهاية لأنها غير موجودة، وإنما هي حاصلة في الذهن، وما وُجِدَ فقد تنهى».<sup>(3)</sup>

وقال، في بيان حدّ اللفظة المشتركة: «وهي اللفظة الواحدة الدالة على أزيد من معنى واحد مختلفة في حقائقها على الظهور بوضع واحد. فقولنا هي اللفظة الواحدة، ولم نقل هي الألفاظ، لأن الاشتراك قد يكون في اللفظة الواحدة، وفي الألفاظ المجتمعة، بخلاف التباين، والترادف، فإنهما لا يقعان إلا في مجموع الألفاظ، لفظتين فصاعداً، وقولنا الدالة على أزيد من معنى واحد، نحترز به عن اللفظة المفردة التي لا تدل إلا على معنى واحد، فإنها لا تكون مشتركة، وأكثر الكلام على

(1) (بيان إعجاز القرآن) لأبي سليمان الخطابي (ت 388 هـ)، ص. 33 ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن).

(2) (المزهر) ج 1/ 369-370، وانظر (العمدة) باب الاشتراك. تخ: قرقران، ص. 721.

(3) (الطراز)، ص. 274.

الوضع في الدلالات الإفرادية، لأن الاشتراك على خلاف الأصل»<sup>(1)</sup>.

هكذا يبدو أن أبرز ما نجده عند مثبتي المشترك، هو كون الألفاظ المشتركة مخالفة للأصل ومن ثم وجه تأويلها؛ أي ردها إلى الأصل بإثبات علاقتها به. وقد تم ذلك عموماً عن طريق القول بالتداخل أو بالتغير الدلالي (النقل المجازي) خاصة. ومعنى هذا أن كثيراً من المشتركات اللفظية ناتجة عن نقل مجازي. ومن شأن الانتباه، لدى القدماء، إلى وجود (أو عدم وجود) علاقة دلالية بين معاني اللفظ الواحد، أن يميز بين المشترك اللفظي الناتج عن تغيرات صوتية، واللفظ المتعدد الدلالة، أو «المشترك المعنوي»، والذي تشترك معانيه في دلالة نوية واحدة، توسع فيها بشكل من أشكال المجاز.<sup>(2)</sup>

هذا، ولنا في المؤلفات المتخصصة في هذا الميدان، ككتاب (الأجناس من كلام العرب، وما اشبه في اللفظ واختلف في المعنى) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ)، وكتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) للمبرد (ت 285 هـ)، وكتاب (الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيتها وتنوعت معانيها) للثعالبي (ت 429 هـ)، وكتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه) لابن الشجري (ت 542 هـ). وكذلك المصنفات اللغوية والبلاغية والفقهية الأخرى كـ

---

(1) نفسه. ص. 276. وانظر (المزهر) ج 1 ص. 370. و(دلالة الألفاظ) لإبراهيم أنيس، ص. 217.

(2) (التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم) محمد غاليم، ص. 15-16. وانظر (الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم) لمحمد نور الدين المنجد ط. دار الفكر، دمشق ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط. 1/ 1999، (الفصل الأول).

(مفتاح العلوم) للسكاكي (ت 626 هـ)، و(المزهر) للسيوطي (ت 911 هـ)، و(إرشاد الفحول) للشوكاني (ت 1250 هـ)، و(المخصص) لابن سيده (ت 458 هـ)، والمعاجم العربية بعامة، ما يشفي غلة القارئ في معرفة الألفاظ ذات الدلالات المتباينة والمترادفة والمشاركة التي تجسد الدليل القاطع على ثراء اللغة العربية واتساعها.

لقد دارت نقاشات وسجلات كثيرة، بين فقهاء اللغة والأصوليين والبلاغيين والنقاد حول مسألة حضور أو عدم حضور أسلوب التورية في الخطاب القرآني الكريم. فكان كل فريق يستدل على قوله بأدلة يحسبها عين الصواب ويعتقدها سبيل الحق؛ ومن ثم لم تأت موافقهم وآراؤهم على كلمة سواء. فالذين اعتقدوا بخلو القرآن من التورية يذهبون إلى أنها تختلف في دلالتها عن طبيعة الخطاب القرآني اختلافا لا مزية فيه، وتباينه مباينة لا سبيل إلى التوفيق بينهما. فالتورية مؤسسة، في أصل تكوينها وبحسب ما جاء لدى اللغويين والبلاغيين، على الإيهام والإبهام والتضليل المتعمد والمقصود؛ ومن هنا وجه المفارقة، بله، طابع التناقض الحاصل بين طبيعتها وبين ما اشتمل عليه القرآن العظيم ووصف به، من أنه كتاب نور وهداية، وأنه آيات بينات، أنزله قصد تدبره وتأمله والتفكير في منطوقه ومفهومه للاهتمام به والعمل بما جاء فيه. فأنتى له. وهذا حاله - أن ينحو منحى التورية المؤسسة على الإيهام المتعمد؟ فبين طبيعة القرآن العظيم ودلالة التورية بون شاسع لا يصح معه الالتقاء. <sup>(1)</sup>

---

(1) انظر كتاب (التورية وخلو القرآن الكريم منها) للدكتور محمد جابر فياض. ط2. 1989. وانظر للمؤلف نفسه، مقالا في الموضوع، نشر بمجلة المجمع العلمي =

على أن الذين اعتقدوا بحضور أسلوب التورية في الخطاب القرآني ، فيستندون إلى العديد من الآيات المتشابهة التي جاءت متضمنة لأروع صور التورية ، وبخاصة منها التي وردت مشتملة على أسماء الله وصفاته بوحدات معجمية ، مثل : الهيئة ، واليد ، والعين ، والوجه ... قال جار الله الزمخشري (ت 538هـ) في فضل التورية : «ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ، ولا أنفع ولا أعود على تأويل المشبهات من كلام الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم» .<sup>(1)</sup> وقال السكاكي (ت 626 هـ) في المفتاح : «وأكثر متشابهات القرآن تورية» .<sup>(2)</sup> لهذا ، يتضح أن البحث في معاني هذه الآيات القرآنية لهو من صميم وجوهر البحث في معانيها الإعجازية التي يتنزه بها خطاب الخالق عن خطاب المخلوق - خارج قاعدة تمييز الشيء بضده<sup>(3)</sup> - التي تسقط كل فهم يومي بتشبيه ذات الله بمخلوقاته ، تعالى سبحانه عن ذلك علواً كبيراً . يقول عز وجل : ﴿الرحمان على العرش استوى﴾ .<sup>(4)</sup> فالوحدة المعجمية (استوى) دالة على معنيين على جهة الاشتراك . فقد تحمل الاستقرار في المكان ، وهذا هو المعنى القريب المورى به ، وهو غير مقصود لأن رب

---

=العراقي ، ع أبريل 1983 ، ص . 242 ، نقلاً عن مقال (هل يوجد في القرآن الكريم أسلوب تورية؟) لعبد العزيز العمار وعلى الموقع الإلكتروني [www.taarab.ws](http://www.taarab.ws) .

(1) انظر (روضة الفصاحة) لزين الدين أبي بكر الرازي (ت 666هـ) . تخ : أحمد النادي شعلة . دار الطباعة المحمدية الأزهر الشريف . ط . 1/ 1982 ، ص . 118 .

(2) (شروح التلخيص) ، ص . 326 . وانظر (نهاية الإيجاز) لفخر الدين الرازي ، ص . 291 .

(3) انظر (العمل الديني وتجديد العقل) لطف عبد الرحمان ، ط 2/ 1997 ، ص . 30-31

(4) سورة طه ، الآية 5 . وانظر (شروح التلخيص) ، ص . 324-326 .

العزة منزّه عن ذلك . وتحتل القوة والملك وعظمته ، جل شأنه ، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ، وهو المقصود القطعي من الآية . ولابد من الإشارة إلى أن الآية تتضمن استعارة تمثيلية ، لأنه شبهت الهيئة الحاصلة من تصرف المولى في الممكنات بالايجاد والإعدام بالهيئة الحاصلة من استقرار الملك على عرشه بجامع أن كلا ينبئ عن الملك التام ، واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية .<sup>(1)</sup>

والشيء نفسه ينسحب على قوله تعالى : ﴿والسما بيناها بأيّد وإنا لموسعون﴾ .<sup>(2)</sup> فالمعنى القريب المتبادر إلى الذهن من الوحدة المعجمية (اليد) ، يفيد اليد الجارحة ، وهو معنى ظاهر منكشف غير مطلوب ، وقد قرنت اللفظة بالبناء الذي يناسب المعنى القريب . بينما المعنى الثاني المورى عنه ، هو المقصود القطعي وهو داخل في حاق قدرته وعظمته سبحانه .

إن أوضح ما نظنه من أمر هذا التفسير ، هو أن متلقي الوحدات المعجمية المورى بها في النص القرآني والمشتملة على أسماء الله وصفاته ، لا يستطيع ، بأي حال من الأحوال ، تبين خاصيتها الاعجازية المطلقة التي يتعالى بها خطاب الخالق عن قدرة وطاقة مخلوقه ، الموسوم بالحدودية والانهاء ،<sup>(3)</sup> مالم يعمد إلى بنائها بناء جديداً ، من غير أن

(1) (شروح التلخيص) ، ص . 326 . وكذا (علوم البلاغة) لأحمد مصطفى المراغي ، ص . 305 .

(2) سورة الذاريات ، الآية 47 . انظر (شروح التلخيص) ، ج 4-286-324-326 .  
(3) يلاحظ الدكتور طه عبد الرحمان ، في كتابه (العمل الديني وتجهيد العقل) ، أن مقولات مثل : (التعالي) و(الإطلاق) و(اللاتناهي) تغشاها وجوه من التشبيه ،

يغير من لفظها شيئاً، أو يحول كلمة عن مكانها إلى مكان آخر - على حدّ تعبير الجرجاني (ت 471 هـ) - <sup>(1)</sup> إنه بمعنى من المعاني، مدفوع إلى انتهاج قراءة عقلية وعارفة، يتجشم خلالها عناء التأمل والاستقصاء والنظر الدقيق. حيث تجعله قادراً على إدراك أن عملية التأويل التي يخوض غمارها، لا يمكن أن تأخذ مجراها المنطقي إلا في سياق «ربط الدلالة اللغوية بالدلالة العقلية». <sup>(2)</sup> كما أنها، في جانب آخر، تلزمه بإقصاء وإلغاء مشروعية كل ما هو متعارف عليه وشائع من معاني خاصة بالوحدات المورى بها، وقطع حبل الصلة المنعقد بين الدلالة في سياقها القاموسي، والدلالة في سياقها النصي الاعجازي. ذلك أن منطق المماثلة بين السياقين لا يتحقق ولن يدرك بالنسبة لذات الله تعالى؛ لأن ليس مثله لا يكون إلا ذلك، أي ليس مثله شيء، والكاف في قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾، زائدة مؤكدة لمعنى النفي. ولو قدر الله تعالى مثل لم يكن لذلك المثل مثل، لما تقرر في القول الإلهي أن الله متفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره، فكان هو الله. وقد دكّ الدليل على أنه ليس مع الله إله آخر. <sup>(3)</sup> وهذا ما يؤكد، بدون مرأى، أنه بقدر ما

=تلتبس وتصدق عن الفهم والإفهام، ولو توجهت فيها الهمم بالتنزيه، كأن يدرك أحياناً (التعالي) بـ (العلو) و (العلو) بـ (العالي) و (العالي) بشاهد من شواهد المثلث، وكأن يقبس (اللاتناهي) بـ (التناهي) و (الإطلاق) بـ (التقييد) وفق قاعدة تمييز الشيء بضده. (ط. 1997/2)، البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص. 30-31.

(1) (دلائل الإعجاز)، ص. 374.

(2) (إشكالية القراءة وآلية التأويل)، ص. 114.

(3) الآية 9 من سورة الشورى. انظر (الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة) لمحمد بن علي الجرجاني (ت 729 هـ) وخاصة مبحث (المجاز بنسبة الزيادة والنقصان)، ص. 235. وانظر كذلك كتاب: (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) لفخر الدين الرازي، ص. 383. و (القراءة بالمماثلة) لأحمد طايبي، ص. 54-55 و 199.

يتلمس القارئ طريقه نحو الترجيح بين معنيين متنافسين، تدل عليهما وحدة معجمية موري بها عن «المقصدية» في النص القرآني، بقدر ما يكون «الاشتراك على خلاف الأصل».

### 3. الإيهام المقصود

ومن أجل تلمس آفاق أخرى لبلاغة التورية في الثقافة العربية الإسلامية، فإنه من الأهمية بمكان أن نفيض بشيء من الحديث عنها، من خلال بعض النصوص التمثيلية الموضحة، التي رويت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو تلك التي رويت عن صحابته وهو بمعيتهم، فأبانت - كما سنرى - عن حنكة وتبصر كبيرين، في تصريف الألفاظ واقتدار متميز على الاتساع في المعاني.

فقد رُوي في الأخبار الواردة في خروجه صلى الله عليه وسلم إلى بدر، أنه كان سائراً بأصحابه يقصد بدرأ فلقبهم رجل من العرب، فقال: ممن القوم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من «ماء» فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول: من ماء، من ماء، لينظر أي بطون العرب يقال لها ماء، فسار النبي لوجهته، وكان قصده أن يخفي أمره ويكتمه... لأنه يجوز أن يكون بعض بطون العرب يسمى ماء، أو يجوز أن يكون القصد والمراد أن خلقهم من ماء.<sup>(1)</sup>

---

(1) (المثل السائر)، ج 2/218. قال الله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّا خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾. سورة الطارق 5-8.

ومن الأمثلة الأخرى ، قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الهجرة ، وقد سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ف قيل له : من هذا . فقال : هاد يهديني . وكان قصد أبي بكر ، هو : هاد يهديني إلى الإسلام . فوري عنه بهادي الطريق الذي هو الدليل في السفر<sup>(1)</sup> .

إذا حاولنا وضع اليد على أهم الأشياء المثارة في هذين النصين التمثيليين ، فدونك الخلاصتين التاليتين :

أ- إن عملية التواصل التي تحققت ، بين صوت المتكلم/ المرسل (الرسول وصاحبه) وسمع المرسل إليه (destinataire) ترتد ، في المقام الأول ، إلى محدّدات النطق كنشاط للناقل (transmetteur) الذي ينتج الإشارات ، والسمع (Audition) كنشاط للمتلقّي الذي يستقبلها ، وتظهر القناة تحت نوع الموجات الصوتية المؤثرة<sup>(2)</sup> . ثم هي تعود ، في المقام الثاني ، إلى ذخيرة لغوية متوارثة ؛ نقصد : كفاءة لغوية (Compétence Linguistique) يتقاسمها الطرفان على أساس أنها ملك مشاع بينهما . يقول ايزر : «الذخيرة هي مجموع المواضعات (Conventions) الضرورية لقيام وضعية ما . . . هذه المواضعات تحيل إلى المعايير الاجتماعية والتاريخية ، وإلى السياق السوسيوثقافي ، بالمعنى الواسع الذي أنتج فيه النص . وهذا ما عتته حلقة براغ بالحقيقة الخارج - جمالية (Extra -

---

(1) (خزّانة الأدب) ، ص . 296 وص . 430 . وانظر خبره كذلك في (المزهر) ، ج 370-369/1 .

(2) Jeanne Martinet (clefs pour la sémiologie)

ترج : عز الدين الخطابي وزهور حوتي ، ضمن كتاب (التواصل : نظريات ومقاربات) ، منشورات عالم التربية - ط1/ 2007 . ص . 87 .



esthétique) . . . إن الذخيرة تمثل الجزء الباني للنص ، حيث تحيل على كل ما هو خارجه بشكل دقيق<sup>(1)</sup> . وهذا معناه ، أن كل واحد منهما سيتمتع من معين هذا الموروث المعجمي الضخم ، وسينسج لحمه وسدى تواصله مع القطب الآخر ، وفق موثيق وشروط الأعراف الاجتماعية والثقافية ، التي تتماثل مع لغة المعيش واليومي .

إن لفظة «ماء» الواردة في النص الأول ، لا تعدو كونها وحدة معجمية ذات دلالة حرفية ، تحيل إلى المعطيات الواقعية ومرجعيتها المباشرة (ماء = مادة سائلة ضرورية لحياة الإنسان + قبيلة عربية = الخصب والنماء) . والشئ نفسه يمكن أن يقال بشأن لفظة (الهادي) الواردة في النص الثاني (الهادي = الدليل في السفر = تحقيق الغاية) . هكذا يتبين أن التواصل الذي أسسه المرسل إليه مع المرسل ، والتأويل الذي بناه بإزاء الوجدتين المعجميتين ، استلزم منه الاتكاء على الموسوعة اللغوية المترسبة في الذاكرة ، ثم على الاشتغال الوظيفي لهذه الذاكرة بغية استحضار تمثلات ذهنية<sup>(2)</sup> ، تسعفه في إدراك بُعديهما الحرفي والمباشر ، وبالتالي تحقق فعل تواصلٍ ناجح مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق . بعبارة ثانية ، إنه لما كان انبثاق قراءة تأويلية مشروعة ، يتم تحت تأثير إكراهات سياقية محض ، فإن رد فعل القارئ (Réaction) على الوجدتين المعجميتين (الماء + الهادي) ، سيتسم ولا شك ، بعدم الاختلاف عن رد فعله إزاء الحياة المعيشة وتفاعله مع معطياتها الواقعية المباشرة .

---

(1) Iser (L'acte de lecture), p. 128-129, 143.

(2) انظر بهذا الخصوص كتاب (التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية) لمسعود صحراوي ، ط دار الطليعة ، ط 1/ 2005 .

ب- ولعل هذا ما حملنا على الاعتقاد، بأن الحديث عن ميسم التفاعل بين المتلقي واللفظتين المورى بهما عن مقصدية الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق، لن يخرج عن أنه تفاعل يفتقر إلى قدرات تصويرية أشد اتساعاً، تسمح له بتوليد معاني جديدة مستترة خلف اللفظتين، وذلك خارج «علاقة وجه لوجه الملازمة لجميع أشكال التفاعل الاجتماعي». (1)

هذا، ونحن إذ نقر بأن المرسل إليه لا يستطيع أن يدرك مقصدية المتكلم- أبو بكر هنا- إلا بأن يراعي المعنى السياقي (Sens Contextuel) للفظـة (الهادي) ويتمكن من فك سنن المعنى الأول (decodage)، الذي يتبادر إلى ذهنه أول وهلة، فإننا نرى ذلك كله، لن يكون له كبير شأن في القبض على ما قصده، رضي الله عنه. ففي الوقت الذي تؤكد فيه المدونة اللغوية أن لفظـة (الهادي) تفيد: الدليل الذي يتقدم القوم ويتبعونه، ويكون أن يهديهم للطريق ويعرفهم بها. فإنها تعود لتمنحها دلالة ثانية، تفيد: الرشاد والطاعة والورع؛ فنحن نقول: هداة هدى، وهديا، وهداية. وهداة للدين هدى، ونحن حين نقول: المهدي فإننا نقصد ذلك الشخص الذي هداه الله إلى الحق، لأن كلمة (الهادي) من أسماء الله سبحانه. (2) قلنا، حين نؤكد على هذا، نكون أمام وحدة معجمية موجودة

Ibid, p. 294. (1)

(2) (لسان العرب)، مادة: هدي. وعن الفرق بين الهداية والإرشاد والطاعة، يقول أبو هلال العسكري: (الفرق بين الهداية والإرشاد، أن الإرشاد إلى الشيء هو الطريق إليه والتبيين له. والهداية: هي التمكن من الوصول إليه... والهدي: الدلالة، فإذا كان مستقيماً فهو دلالة إلى الصواب، والإيمان هدي لأنه دلالة إلى الجنة... والرشد: الاستقامة في الدين... والطاعة: الفعل الواقع على حسب ما

أصلاً في معجم اللغة، تجاوزت الحيز اللغوي المتعارف عليه وأصبحت تكتسب، بظهورها في سياق جديد، أبعاداً ودلالات دينية صرف. فهل كان المتلقي مدركاً وواعياً بأن السياق الذي وجّه فيه أبو بكر وحدته المعجمية، سياق ذو دلالة دينية؟

إننا نعتقد عكس ذلك تماماً. بالرغم مما قد يبدو ظاهرياً، من تعارض بين ما سقناه سلفاً، وما نحن بصددده الآن. فالذخيرة المتوارثة بين القطبين (أبو بكر ومحاوره) في ميدان المشترك اللفظي، لم تكن متماثلة ولا متجانسة، حق التماثل والتجانس لقيام تواصل تفاعلي راسخ وممتد بينهما. ويعزى ذلك، على ما يبدو، إلى أن المتلقي يجهل - بحكم محدودية تجربته واقتصرها على ما هو ذائع ومشهور من معاني تخص لفظة الهداية - الطفرة الدلالية التي أحدثها النص القرآني، في تلك اللفظة بشكل خاص، ولغة العرب بشكل عام؛ فتحولت فجائياً، من كونها تفيد الدليل في السفر إلى كونها تعني الرشاد والهداية والورع، مما أكسبها دلالة جديدة تنضاف إلى النسق اللغوي المشترك بين الباحث والمتلقي.

على أنه من غير المستبعد جداً أن يكون، رضي الله عنه، قد أدى لمحاوره الرسالة، وهو يدرك مسبقاً أنه لا يتوفر على ثقافة إسلامية، ولا يمتلك كفاية لسانية واسعة.<sup>(1)</sup> تؤهله لاندراك ما للفظ الهداية من

---

=أرادته المريد، متى كان المريد أعلى مرتبة من يفعل ذلك وتكون للخالق والمخلوق، والطاعة في مجاز الله تكون اتباع المدعو الداعي إلى ما دعاه إليه...)، (الفروق في اللغة)، ص. 203-205، 215. (البابان: السادس عشر والثامن عشر).

Iser (L'acte de lecture), p. 60. (1)

محتوى دلالي آخر، يسعفه في بناء قراءة تأويلية خاصة به. لذلك يغلب على ظننا أن محاصرة القدرات التخيلية عند المتلقي مردودة إلى عاملين أساسيين، هما:

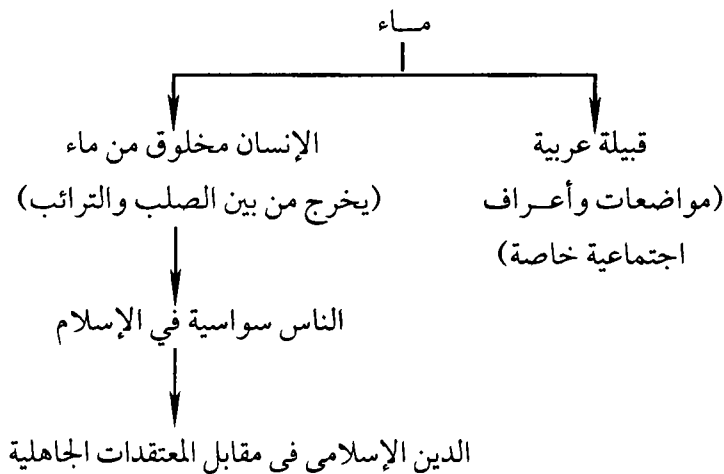
1- عامل الانتقاء (Sélection) الذي قام به أبو بكر، فمس لفظة (الهداية) في مقابل ألفاظ أخرى تمت تنحيته.

2- عامل الذاكرة المعجمية للمتلقي، الذي لا يستطيع - وهو صاحب التجربة المحدودة - أن يتصور للفظه - موضوع التورية - سُبلاً تأويلية جديدة خارج مجرة ما هو شائع ومتعارف عليه لغوياً. صحيح أن الطفرة الدلالية التي تمس الألفاظ هي ظاهرة شائعة في كل اللغات، يستكنها كل دارس لمراحل نمو اللغة وتحول أطوارها التاريخية... وأن ما يساعد على حدوث مثل هذا التطور مرتبط بكثرة أو قلة شيوخ لفظة دون أخرى، واقتصار استعمالها على أساليب معينة دون سواها<sup>(1)</sup> ومع ذلك، فإن هذا المؤدى لا يجب أن يحملنا على الظن، بأن معنى (الدليل في السفر) الذي يوهم المتلقي بمقصدية المتكلم، قد زال وانمحى. بل يظل مستترا - حاضراً جنباً إلى جنب في مسار قراءته. ويرجع ذلك إلى أن تحديد مقصدية المتكلم واستجلاء مرجعية خطابه، أمران يحملان كثيراً من التعقيد والشك في آن واحد. فبما أن القارئ يجد نفسه عاجزاً عن فهم كلمة (الدليل) كما تحتملها وظيفتها المجازية، فإنه يجبر على أن يبحث في موضع آخر عن تأويل ثانٍ، ولو متواقت مع التأويل الأول؛ هذا مع التذكير أن هذه الكلمة

---

(1) (دلالة الألفاظ)، إبراهيم أنيس، ص. 119 و 132. وانظر كذلك (عوامل التطور اللغوي) لعبد الرحمان أحمد حماد، ط. دار الأندلس، بيروت 1983. و(في بيداغوجية اللغة العربية) عباس الصوري، ص. 50.

لا تسمح بالتباس في استعمالها الوضعي . بصيغة أخرى ، إنه مفروض فيه الوقوف ، أولاً ، عند المعنى الأول المتبادر إلى ذهنه أول وهلة ، ثم الانطلاق منه ثانياً ، لأنه لا يمثل غاية في ذاته .



إن ما نريد الإبانة عنه عبر هذا كله ، هو أن التورية - على شدة انزوائها وخفائها - لم تتحقق إلا بتعمد وقصد ، أي بإيهام مقصود ، من الرسول الكريم وصاحبه . وما نشك في أن التحول - ولا نقول بالتعلق الدلالي المطرد - باللفظ الواحد من المعنى المصرح به إلى المعنى المسكوت عنه ، كان عملاً مقررأ في ذهنيهما ، ولم يقع عندهما ، البتة ، بمحض المصادفة الخالصة .<sup>(1)</sup> بينتنا في هذا الإدعاء ، هي أن دلالة التورية ، إن كانت تشع في جوهرها ببلاغة الغموض والإيهام ، اضطراباً حيناً

(1) انظر (خزانة الأدب وغاية الأرب) لابن حجة الحموي ، ص . 296 وما بعدها .

واختياراً حيناً آخر، فإنها، هنا، مما يجري مجرى أسلوب «التقية»<sup>(1)</sup> في حفظ النفس وخدمة الدين. فلا مرأى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتواصل مع متلق معاصر له، وكان كل واحد منهما محكوماً بسياق حضاري مشترك، ومتعلقاً باتفاقات ومواضعات اجتماعية تعلقاً شديداً.<sup>(2)</sup> وليس من المستبعد أن يكون صلوات الله عليه وسلامه، قد قصد المعنيين معاً، خاصة في لحظة يدرك فيها - وهو البصير بأسرار اللغة واختلاف وضعية الألسن العربية - أن احتمال الاتساع في لفظة (الماء)، متأصل في القدرة اللغوية للمتكلمين والمستمعين، على حد سواء. ومع هذا وذاك، فإنه لم يتوان عن سلوك منهاج الإيهام المقصود، ولم يتردد في إبلاغ مقصديته بوحدة معجمية تتجاوز بالدال الواحد أحادية المدلول. لذا حق التصديق بهذا التجاوز أن يصح فيه معنى المورى عنه على هذه

---

(1) تفيد التقية في المدونة اللغوية، الحذر والحيلة واجتناب الضرر والتوقي منه. والتورية تشترك مع التقية - على ما بينهما من اختلاف - في التخلص من الضرر عند الاضطرار بإظهار شيء غير مراد أصلاً. هذا، ولقد أوضح علماء الشيعة، من فقهاء ومحدثين وأصوليين وعلماء كلام وعقائد، أن التقية لها أحكامها وشروطها وحالاتها التي تفيد بموجبها. ولا شك أن البحث في التقية استكثر فيه لدى أهل التشيع عامة، وفي مظان الشيعة الإمامية خاصة. انظر بهذا الشأن، الكتب والدراسات التالية:

- (آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم)، السيد مرتضى الرضوي، ط بيروت، 1411هـ.

- (التقية في إطارها الفقهي - دراسة مقارنة لواقع التقية)، علي الشملاوي، ط بيروت، 1412هـ.

- (واقع التقية عند المذاهب والفرق الإسلامية)، ثامر حبيب العميدي، ط. قم، إيوان، 1415هـ - منشور على الأنترنت [www.14masom.com].

(2) Iser (L'acte de lecture), p. 128-129. وكتاب (المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث). مقالات مترجمة، عبد القادر قنيني، ص. 63-64.

الصورة، مادام أن الضرورة أو الحاجة في جلب المصلحة ودفع الضرر هي التي توجب توظيفاً حقيقياً أو مجازياً للكلمات<sup>(1)</sup>؛ أي ما دام أن هذا الصنف من المحاورين/ المتلقين ممن لا يُؤتمن جانبهم، لكونهم طغوا في البلاد وجحدوا بنبوته صلى الله عليه وسلم.

إن محسن التورية، ههنا، ترميز سري بفن القول الشفاهي، وتوجيه له توجيهها يكشف عن المفارقة (Paradoxe)، التي تقوم عليها بلاغة المضطهدين والمكترهين، حين تتجاوزهم ضرورة صيانة النفس من ناحية، وضرورة إيصال معتقدتهم من ناحية أخرى. لهذا، فبقدر ما بين المتكلم عن بعض سره، فإنه يحرص جاهداً على ستره وإخفائه في آن، في ممارسة دلالية خطيرة، قد تكون عاقبتها الموت، لو اختل التوازن بين المصرح به والمسكوت عنه.<sup>(2)</sup>

فهب - معي في سياق المصالح المتصارعة بين الرسول الأمين وعدوه - أن المتلقي أدرك أن لفظة (ماء) ليست أحادية المعنى (Monosémie)، فإنه سيصاب ولاشك بدهشة مضاعفة، وسيكتشف خلالها زيف افتراضاته واحتمالاته السابقة، وستدفعه إلى تبديد ما أثارت في ذهنه من التباس دلالي مقصود<sup>(3)</sup>، عبر تجاوز المعنى

---

(1) يمكن الاطلاع، في هذا السياق، على كتاب: (Dynamique des Communications dans les groupes), Grilles Amado et André Guillet, edit. Armand Colin, Paris, 1991, p. 35.

(2) انظر (المجاز والتمثيل) جابر عصفور، ص. 27-39.

(3) انظر (المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي - الأصول والامتداد) لأحمد المتوكل دار الأمان، ط 1-2006، ص. 193-194. ومقال (الحجاج المغالطي بين المفهوم والمقصود) لحسان الباهي، مجلة (المناهل) ع مزدوج (62-63) منشورات وزارة الثقافة، ص. 119.

المستخلص من لفظة (ماء) وفاقا للعرف اللغوي، إلى المعنى الذي يوافق الغرض من كلامه، صلى الله عليه وسلم، وهكذا تغدو معها شخصية محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه عرضة للنكايه والبطش.

#### 4. التواصل البلاغي في النص الشعري

ثمة حقيقة لامية في صدقها تفرض نفسها بإلحاح على دراستنا هذه. وهي أن قصر مقاربتنا على مبحث بلاغي/ بديعي، تمتد أصوله وجذوره إلى البدايات الأولى لنشأة الدرس البلاغي العربي<sup>(1)</sup>، ليس مجرد إلزام لأنفسنا أو لغيرنا من الدارسين، بما لا يلزم، أو أننا أقعظنا ذواتنا في مجاهل «محسن كلامي» نحن عنه بمنأى. بل إنه مسألة ضرورية لأي قراءة بلاغية/ جمالية، تتقصد إثبات حقيقة العلاقة الحميمة والممتدة، التي تشد حاضرننا بماضيها التليد؛ وكذلك إلى ترسيخ أن أي محاولة تريغ الانفصال عن جذورنا التنظيرية- البلاغية والنقدية- مهما أصابت في الحجة والدليل، ما هي إلا ضرب من التجاهل والتناسي المدفوعين، غير المسوغين. ذلك أن الذات البلاغية- مبدعة وقارئة- حين تحاول أن تعي ذاتها وأن تبحث عنها، بوصفها تمثل الحضور الذي يبنني ويتشكل على الدوام، بله، يقبل الاندراج في صيرورة الأفق التاريخي، فإن محاولتها لاستكناه ما ستكونه، لا تزدجها إلى المضي في الضرب صفحا عما كانته

---

(1) يقول ابن حجة الحموي: «وكانت خواطر المتقدمين عن نظم التورية بمعزل ...، لكنها ربما وقعت لهم عفواً من غير قصد لأنهم على كل حال، ولأهله هذا الشأن وأدلة هذا الركب». (الحزنة، ص. 296).



ذات يوم. (1)

لقد أشرنا في السابق، إلى أن التورية تنطوي في أصل تكوينها على بلاغة الإبهامية (Hermétisme)، بجميع مياسمها وخصوصياتها. كما ألحنا في الإقرار على أنها تمثل بنية مسبقة لمعنى مقصود، يؤديه المرسل وفق الطريقة التي يرتضيها، ويتنظر من المرسل إليه تحقيق ذلك المعنى، والعمل على استحسنانه، تمثيلاً بطبيعة حال الألفاظ في صناعة الكلام. مع نوعية المعايير الجمالية، والأعراف والمواضع السوسيوثقافية السائدة. وقد أسلمتنا هذه الخلاصة إلى إدراك طابع التمايز الحاصل بالفعل، بين لغة التواصل اليومي والقوانين الضابطة لتفاعلاتها الاجتماعية، وبين مكونات لغة التواصل التخيلي، التي تستند في وجودها وحضورها إلى غياب وضعية سياقية محددة سلفاً، توجه عملية التفاعل بين الوحدات المعجمية المورى بها عن المعاني المقصودة، والقراء المتلقين.

ويهمنا من هذه النقطة، في هذه الدراسة، ما يرتبط بالدور الذي تضطلع به ثنائية المورى به والمورى عنه، في استشارة قوى التخيل والتمثيل عند المتلقي لحظة شروعه في التأويل.

---

(1) انظر المقدمة التي صدر بها الناقد، يوسف اليوسف، كتابه (مقالات في الشعر الجاهلي). ط. دار الحقائق، بيروت. ط. 1983.

## 1.4. موجّهات فعل القراءة

إذا كنا متفقين على حقيقة ثابتة، وهي أن النص الشعري إنما هو بلا صفة يُنتهى إليها، ولا علم يُوقّف عليه. <sup>(1)</sup> لأنه يختزن طاقات فنية كامنة في أصلا به، منذ تكون أجهته الأولى، تجعله قادراً على مواصلة الكلام فيما تكون رسالته قد فقدت راهنيتها، وتكون دلالاته الشعرية قد هُجرت؛ <sup>(2)</sup> فإن ما يمكن تأكيده، من ناحية أخرى، هو أن النص الشعري، لا يمكن أن يقدم على أنه صياغة تعبيرية، ونظام لغوي مستقل بذاته. إن وجوده الدائم متوقف على مدى قوة التواصل الدينامي، الذي يبنيه مع قرائه العارفين - فالشعر لا يعلمه إلا أهل العلم به <sup>(3)</sup> - بصرف النظر عن تعدد أصنافهم، وتنوع أسئلتهم، واختلاف مراحل تواصلهم معه. فليس بالإمكان - يؤكد ياوس - تصور نصوص شعرية على أساس أنها سيرورة مطردة (Processus Continu)، دون المشاركة الفعلية والممتدة لأولئك القراء الذين وجهت إليهم تلك النصوص. <sup>(4)</sup>

ومن الراجح أن المتقضي لأبعاد هذا الكلام، سيدرك أن التواصل التفاعلي الحاصل بين القطبين، لا يختص بالمتلقي المعاصر للنصوص الشعرية، بل ينسحب، بنفس القدر والأهمية، على ذلك المتأخر تاريخياً. إن المسافة التاريخية <sup>(5)</sup> الفاصلة/ الوسيط بين النصوص

---

(1) (طبقات فحول الشعراء) ابن سلام الجمحي. تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ج 1 ص 6.

(2) Iser: (L'acte de lecture: théorie de l'effet esthétique), p. 36-37.

(3) انظر (طبقات فحول الشعراء)، ج 1، ص 7.

(4) (Pour Une Esthétique de la Recéption), p. 44-45.

(5) Ibid: p. 55-58, et (Pour une herméneutique littéraire), p. 429.

ومتلقيها، لا تختزل في جدة القراءات المتباينة والمتعددة، ولن تستطيع لذلك سبيلا، مادام أن المساهمة في بناء دلالات النصوص، وتحقيق مقصديات منشئها عمليتان متوقفتان على مدى إدراكنا للخاصية الافتراضية (Caractere Virtuel) لتلك النصوص.<sup>(1)</sup>

إن الذي يترجح عندنا - استنادا إلى ما سبقناه سلفا - هو أن حضور التورية في الشعر العربي، حضور يتسم باللاتحديد<sup>(2)</sup> (Indétermination). حيث يتم الانتقال بالوحدات المعجمية المورى بها، من كونها وحدات ثابتة في النسق اللغوي المشترك بين الشعراء والمتلقين، إلى كونها وحدات ذات معاني متحولة، تشع في جسد البيت الشعري بخاصة، والفضاء النصي بعمامة (Espace textuel)، بأفاق تأويلية جديدة، مثرية إياهما بهذه الجدة، وخالقة حول نفسها شبكة من الترابطات والعلاقات، التي لا يمكن مهما سعت طاقة القارئ التخيلية أن تقلصها إلى القاموس اللغوي ذي المدخل الوحيد. قال أبو العلاء المعري:

تَجَلُّ عَنِ الرَّهْطِ الْأَمَانِيِّ عَادَةً      لَهَا مِنْ عَقِيلٍ فِي مَمَالِكِهَا رَهْطٌ  
وَحَرْفٌ كُنُونٌ تَحْتَ رَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ      بَدَالِ يَزُومُ الرَّسْمَ غَيْرَهُ النَّقْطُ

فمن قرأ البيت الثاني توهم أنه يريد ب (راء ودال) حرفي الهجاء، لأنه صدر بيته بذكر الحروف واتباع ذلك ب (الرسم والنقط)، أي برسم الأحرف وكتابتها وتنقيطها. وهذا، هنا، هو المعنى القريب المتبادر إلى

(1) Iser (L'acte de lecture), p. 48-50.

(2) (التفاعل بين النص والقارئ) إيزر: ترج: الجيلالي الكدية. مجلة (دراسات أدبية لسانية سيميائية) ع7/ 1992. ص. 9.

الذهن أول وهلة . إنها التورية النحوية التي تظهر في الأحرف ، ذلك أن النحاة إذا ذكروا (الحرف) قالوا : حرفٌ جاء لمعنى<sup>(1)</sup> . لكن المراد غيره ، وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقرب ، لأنه قصد بالحرف (الناقة) ، وبحرف النون : تشبيه الناقة في تقويسها وضمورها . والرائي اسم فاعل من رأى ، وهو : الراكب الذي يضرب رثتها . والدالي اسم فاعل من دلا يدلوا ، وهو : الشفيق . والرسم : أثر الدار . والنقط : المطر . ومعنى البيت مجملا ، هو أن هذه الناقة لضعفها وانحنائها تشبه نون تحت رجل يضرب رثتها ، ولم يرفق بها في المسير . أضف إلى هذا أنه يؤم بها داراً غير المطرُ معالمها ، واجتماع هذه المواصفات دليل على ضعف الناقة ، لأنها لو كانت قوية لما احتاجت إلى ضربها ، أو الاشفاق عليها ، مع ما يعتلج نفسية الراكب من شدة الشوق إلى ديار الأجابة .<sup>(2)</sup>

من خلال البنية التركيبية لهذا البيت ، وما قررت له قراءة أبي جعفر الغرناطي وقراءة ابن حجة الحموي من تخريج ، يتضح لنا أن التورية البلاغية ، وإن كانت أكثر مقاصد الكلام ومواطن القول تقتضي الإعراب عنها والتصريح عن مفهوماتها ، فقد يقصد في كثير من المواضع إغماضها وإغلاق أبواب الكلام دونها .<sup>(3)</sup> وهذا ديدن أبي العلاء المعري معها . فهو

---

(1) انظر (رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة) لأبي القاسم الشريف السبتي (ت 760هـ) . مطبعة السعادة ، مصر 1344هـ . ج 1-126 وما بعدها .

(2) انظر (طراز الحلة وشفاء الغلة) ، ص . 447 . و(خزانة الأدب) ، ص . 295 ، و(المرشد إلى فهم أشعار العرب) عبد الله الطيب . ج 2 ، ص . 652 .

(3) (منهاج البلغاء) ، ص . 172 .

من أكثر الشعراء خبرة بصياغة الكلام الشعري والاتساع فيه، فيلسوف مقتدر في لغة العرب عامة، بصير بمنطوياتها ولزومياتها. ومن ثم، فلا غرابة إذا ما صادفناه عابثاً باللغة، متقراً في معانيها؛ وحيث حال لسانه في ذلك: «علي أن أقول وعليكم أن تأكلوا».

لقد اتسمت الوحدات المعجمية (حرف، راء، دال، نقط)، التي ورّى بها المعري عن مقصديته بمسمى الغرابة واللاتحديد. فنحن لا نستطيع، بوصفنا متلقين، تعيينها على الوجه الصحيح. (قد يحدث العكس إذا كنا من أولئك الذين يكتفون بظاهر اللفظ، ولا يكلفون عقولهم مشقة الاستفهام والتأمل. فترانا بهذا العجز، مقتنعين بالمعاني السطحية (Sens Surficiels)، وقد ننوس بين هذا المعنى وذاك. . . . وهو ما يرتب علاقة يختل فيها التوازن، بين الأسئلة التي نطرحها على هذه الوحدات، والأجوبة التي نتلقاها منها. إن عدم قدرة المتلقي على التأكد من «الغاية الشعرية» التي إليها يروم شيخ المعرة، مرده إلى أن محسن التورية، مكوّن نصي بني على الغموض والالتباس (Ambiguité)؛ أي على أن «يقول شيئاً، ويعني في الوقت ذاته شيئاً آخر، من غير أن يتوقف عن أن يعني الشيء الأول»<sup>(1)</sup> شيئاً آخر». إنه الغموض أو الالتباس الصادر عن أعماق التجربة الانفعالية، والحامل للدلالات الالهيائية الكثيفة. وليس ذلك التشويش الناجم عن تعقيد الدوال في ذاتها، التي هي من قبيل التلاعبات اللفظية، أو المعنى المستغلق الذي لا يرجى من

---

(1) انظر (صراع التأويلات، دراسات هيرمينوطيقية) لبول ريكور. ترج: منذر عياشي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط 1/ 2005، ص. 99.

ورائه خير؛ لأن رموز دواله تصير غاية ومقصدا في حد ذاتها، ومن ثم لا جدوى منها غير التشويش المقصود المضيق لنجاح عملية التواصل التفاعلي، بين الرسالة البلاغية ومتلقيها<sup>(1)</sup>. إن الشيء - كما يقول الجاحظ (ت 255 هـ) - «من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبعد». <sup>(2)</sup> وقال يحيى بن حمزة العلوي: «اعلم أن المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهما فإنه يُقيدُهُ بِلَاغَةٍ، وَيُكسِبُهُ إعْجَاباً وفخامة، وذلك لأنه إذا قرع السمع على جهة الابهام، فإن السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب»<sup>(3)</sup>؛ وهذا بالضبط منبع التشويق في مغامرة فعل القراءة.

ثم إنه لما كانت الغاية من التورية، هي معرفة قصد المعري، فإن مؤول البنية التركيبية للبيت ملزم بأن يشق طريقا غالبا ما يتسم بالعت. إذ

---

(1) حديث علماء العربية القدامى عن الغموض حديث مفرق متناثر في دراسات المفسرين والأصوليين واللغويين والنحاة والبلاغيين. وقد استخدموا في الدلالة على الغموض مصطلحات كثيرة، أشاروا بها إلى غموض المعنى ودرجات هذا الغموض، مثل تعدد المعنى، سواء في القرآن الكريم أو الشعر. وقد كان المصطلح الواحد - في أحيان كثيرة - يتردد بأكثر من مفهوم في كل بيئة من بيئات أولئك العلماء؛ على أنها كانت تتفق جميعا على خفاء المعنى أو عدم وضوحه أو تعدده، سواء في المفردات أو التراكيب، انظر كتاب (العربية والغموض) لحلمي خليل، دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية - ط 1/ 1988. ص. 7. وانظر مقال (وساطة القاضي في ميزان النقد الغربي) لشريف عبد اللطيف. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين. ع 12 - 2006. ص. 28.

(2) (البيان والتبيين)، ج 1، ص. 89-90.

(3) (الطراز)، ص. 240. وانظر كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني، شرح علي مهنا وسمير جابر. دار الكتاب، بيروت، ط. 1/ 1986، ص. 5.

يفترض فيه أن يكون ذا عهد طويل بالشعر العربي، دربا، بين المرس بصناعته، وأن يمتلك بالفطرة، ذوقا نقديا يؤهلانه للإحساس بأن من شأن هذه الألفاظ الواردة بيت المعري، أن يعرض فيها تفاوت الفهم والتفسير. إن المعنى - يقول الجرجاني - «إذا أتاك ممثلا فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة، وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه»<sup>(1)</sup>.

وبناء عليه، فلا بد للمتلقي من أن يكون «قارئا خبيراً»<sup>(2)</sup> بالمجاميع المعجمية واحتمالات وضعية اللهجات، في إطار «ما اتفق لفظه واختلف معناه»<sup>(3)</sup>، من أسماء وأفعال وألقاب وكنى. وأن يكون على معرفة كبيرة بأننا في اللغة الطبيعية نُدخل في الوضوح ما لا يعدو أن يكون مألوفا، وهذا مصدر البلاغة<sup>(4)</sup>. ووفقا لهذه المستلزمات وما ينحو منحاهما، سيكون أشد إدراكا لسياقها الحضاري، وسيتوصل إلى فك سنتها وضبط مميزاتها المعيارية التي بنت عملية التفاعل، بين الإبداع الشعري وشروط تأويلية في حقب ومراحل تاريخية سابقة.

---

(1) (أسرار البلاغة)، ص. 118.

(2) Iser (L'acte de lecture), p. 66-68.

(3) يرى اللغويون وأصحاب المعاجم بعامة، أن للفظ الواحد معنى محدداً، أو وجهاً معيناً، وأن باقي الوجوه أو المعاني، إنما هي فروع لذلك المعنى أو الوجه، وخاصة حين يقولون (كذا عينه)، وهم يعنون بذلك أن هذا الوجه من وجوه معاني اللفظ، هو الوجه المعروف المتداول. (انظر: دلالة الألفاظ) إبراهيم أنيس.

(4) (البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول) لمحمد العمري، إفريقيا الشرق، البيضاء، ط 1/ 2005، ص. 223.

ولا ننسى أن نشير، بأن الألفاظ المورى بها عن مقصدية أبي العلاء، تتميز بدور دينامي في فعل التخيل عند المتلقي. فالقوة المتخيلة عند المتلقي نظير القوة التي أبدعت المحاكاة عند المعري. وليس من شك في أن النظير يتعاطف مع نظيره،<sup>(1)</sup> بله، ينقاس رداً عليه. لذلك، فهي تدفعه - بحكم ممارستها للعبة «اللاتحديد»، وتجسيدها لكل ما هو مبعد وغامض - إلى أن يستكشف زيف افتراضاته المسبقة. ثم إنها تحثه للتوجه ثانيا صوب قراءات القراء السابقين، قصد الاطلاع على نوع التصورات الجمالية التي بنوها حيالها. وكل ذلك بغية اشتراع طريق يؤمن الإنتقال من المعنى المصرح به/المقول، إلى البحث عن المعنى المسكوت عنه/اللامقول. إن موضوع الصناعة الشعرية<sup>(2)</sup> - يقول السجلماسي - «هو التخيل والاستفزاز، والقول المخيل المستفز من قبل أن القضية الشعرية إنما تؤخذ من حيث التخيل والاستفزاز فقط، دون نظر إلى صدقها وعدم صدقها».<sup>(3)</sup>

على أنه إذا تم لهذا القارئ، أن ينفلت من ربقة الشروط المحددة للمقصد من الوحدات الواردة ببيت المعري، فإنه ليس بإمكانه أن يستوعب منها سوى بعض المعاني. لأنه ليس بإمكان القراءة - أي قراءة - أن

(1) (مفهوم الشعر) جابر عصفور، ص. 247.

(2) «العلم» بالنسبة لابن البناء المراكشي، أشمل من «الصناعة». يقول: «فالصناعة من حيث هي صناعة، إنما تعطي القوانين الكلية التي تنضبط بها الجزئيات المندرجة تحتها، والعلم يميز الكليات ويميز الجزئيات ويميز بين جزئيات كلي وجزئيات كلي آخر حتى لا يختلط شيء بشيء». (الروض المربع في صناعة البديع)، تخ: رضوان بنشقرون، دار النشر المغربية، البيضاء، 1985. ص. 88-89.

(3) (المنزعة البديع)، ص. 274.



تُحدث إدراكا كلياً وقاراً للمعنى،<sup>(1)</sup> مهما سعت إلى ذلك؛ لذا، فإن عملية بلورته متوقفة على ردود أفعال جديدة، قادرة على إنتاج معاني لم يسبق إلى إنتاجها من قبل.

وقد يزداد التفاعل وثوقاً بين المرسل والمرسل إليه، ويتحقق التحول في فهم معنى ظاهر غير مراد، إلى معنى بعيد المأخذ مقصود باللفظ الواحد، حينما ندرك أن التورية بالرغم من انتمائها إلى الرمزية الأسلوبية<sup>(2)</sup> تحمل دائماً بين ثناياها معلومات عن كيفية استعمالها؛ فتراها لا تنثني عن رسم مجموعة من التوجيهات<sup>(3)</sup> (Instructions)، تتمظهر في مجموع القرائن<sup>(4)</sup> الخفية التي يدعم بها الشاعر محسنه المعنوي، فيضعها رهن إشارة المتلقي؛ وكل ذلك بهدف اجتراح آليات للتلاحم، بين الوحدات المعجمية المورى بها عن مقصدية الشاعر وهاتيكت التصورات الذهنية المنتجة من قبل القارئ أثناء عملية التأويل.

وهكذا، فمن الأمور التي رتبها البلاغيون العرب على فكرة المعنى القريب المأخذ والمعنى البعيد المأخذ، تقسيمهم التورية إلى أربعة أنواع:

- 
- (1) (دلاليات الشعر) مايكل ريفاتير، ص. 150-151.
  - (2) انظر (الرمزية في الأدب العربي) لدرويش الجندي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1958، ص. 253.
  - (3) انظر بهذا الشأن: ايزر، (فعل القراءة)، مرجع مذكور، ص. 72 و114، و(منهاج البلغاء)، ص. 185. و(القراءة كبناء) تزيفتان تودروف، ترج: محمد أديوان. مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 60-61 (1989)، ص. 113.
  - (4) يقول حازم القرطاجني (ت 684 هـ): «ومن ذلك أن تكون اللفظة أو الألفاظ المشتركة فتدل على معنيين أو أكثر لا في حال واحدة، فيجب للنظام أن ينوط باللفظة أو الألفاظ التي بهذه الصفة من القرائن ما يخلص معناها إلى المفهوم الذي قصده حتى يكون المعنى مستبيناً، وذلك حيث يقصد البيان»، (المنهاج/ 185).

1- مرشحة: وهي التي يذكر فيها لازم المورى به . وهو تارة يذكر قبل لفظ التورية وتارة بعده .

2- مبينة: وهي ما ذكر فيها لازم المورى عنه قبل لفظ التورية أو بعده .

3- مهيأة: وهي التي لا تقع فيها التورية ولا تهياً، إلا باللفظ الذي قبلها أو باللفظ الذي بعدها، أو تكون التورية في لفظين لولا كل منهما لما تهيات التورية في الآخر .

4- مجردة: وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى به، ولا من لوازم المورى عنه .<sup>(1)</sup>

قال عمر بن أبي ربيعة: (خفيف)

أيها المنكح الثريا سهيلا      عمرك الله كيف يلتقيان؟  
هي شامية إذا ما استقلت      وسهيل إذا استقل يمانى<sup>(2)</sup>

الشاهد، هنا، في وحدتين معجميتين، هما:

أ- (الثريا)، فإنه يحتمل أن يكون قصد بها بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه الذي يمثل

---

(1) (خزانة الأدب)، ص . 430-435، و(شرح التلخيص) ج . 4/ 324، و(طراز الحُلَّة وشفاء الغلة) ص . 448 وما بعدها . و(علم البديع) عبد العزيز عتيق، ص . 132-126 .

(2) (خزانة الأدب)، ص . 433-434 .

في (تحرير التحبير) روي البيت ب (يجتمعان) بدل (يلتقيان) . قال ابن أبي الأصبغ بشأن البيت الثاني: «جاء في البيت سبعة أضرب من البديع: وهي التعليل، والاتفاق، والاستخدام، وتجنيس الازدواج في استقلت واستقل والإدماج والتنكيث، والتوشيح»، ص . 269 .

مقصدية الباث . ويحتمل أن يكون قصد بها (ثريا السماء) وهي من الكواكب . وقد سميت بذلك (لغزارة نوئها، وقيل : سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها، فكأنها كثيرة العدد بالاضافة إلى ضيق المحل . . .).<sup>(1)</sup> وهذا معنى مورى به غير مرغوب فيه .

ب - (سهيل) يحتمل أن يكون قصد به سهيل بن عبد الرحمان بن عوف، وقيل سهيل بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وقيل كان رجلا، مشهورا من اليمن، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه . ويحتمل أن يكون (سهيل) النجم المعروف . وهو (كوكب يمانى لا يرى بخمرسان ويرى بالعراق . وقيل سهيل يرى بالحجاز . . . وبين رؤية أهل الحجاز سهيلا ورؤية أهل العراق إياه عشرون يوما)،<sup>(2)</sup> وهذا معنى قريب لا يجسد مقصدية الشاعر .

هذا، وكلا المعنيين نجد لهما موجهها في البيتين، فموجه المعنى البعيد قوله (سهيلا)، إذ كلمة سهيل تحيل إلى ابن عبد الرحمان بن عوف - اليماني الدار والمنبت - ولولا ذكره لما تهيأت التورية في لفظة الثريا . أضف إلى هذا أن لفظة (المنكح) تدل فيما تدل، على طبيعة العلاقة الشرعية الممكن إقامتها بين ذكر واثنى . وما قلناه في سهيل، ينسحب كذلك على لفظة (الثريا) . فلولا ذكر ثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر - الشامية الدار - لما تنبه المتلقي لدلالة سهيل، ولما تهيأت التورية فيهما على حد سواء . فكل واحد منهما يمارس سلطته

(1) (لسان العرب)، مادة (ثريا) .

(2) (طراز الحلة وشفاء الغلة)، ص . 473 . و(لسان العرب) مادة (سهل) .

## التوجيهية على الآخر . (1)

يقول ابن حجة الحموي ، في قراءته لظروف كتابة هذين البيتين :  
«وسبب نظم هذين البيتين ، أن سهيلاً المذكور تزوج الشرايا المذكورة ، وكان بينهما بون بعيد في الخلق ، فإن الشرايا كانت مشهورة في زمانها بالجمال وسهيل بالعكس ، وهذا مراد الناظم بقوله : (عمر ك الله كيف يلتقيان) ، وأيضاً هي شامية الدار وسهيل يمانى» . (2)

إن هذا التفسير يوضح ، في اعتقادنا ، أن الانتقال (3) بلفظة (الشرايا) من كونها وحدة معجمية تدل على (نجم كثير العدد غزير النوء) ، إلى كونها وحدة تحيل على امرأة اسمها ، ثريا بنت علي بن عبد الله ؛ وأن الانتقال بلفظة (سهيل) من أنها وحدة معجمية تدل على (نجم معروف لا يرى بخرسان ويُرَى بالعراق . وقيل بالحجاز . . . ) ، إلى كونها تحيل على رجل باليمن اسمه ، سهيل بن عبد الرحمان . قلنا : إنهما لا يمثلان ، في واقع القراءة ، سوى استحالتي دلالتين (Métasémeme) ، تحملان التركيب الشعري قياساً على الواقعي والعرف المجتمعي ؛ أي ، قياساً على لغته في تفاعلاتها الاجتماعية الصرف . فقد اقتضت «مرحلة استجماع

---

(1) إحدى الملاحظات المهمة ، هنا ، تكمن في أن ذكر الوجهين المرتبطين بالمعنى البعيد يحيلان مباشرة على الوجهين الخاصين بالمعنى القريب ، ولما كان الشأن كذلك ، فقد أثرنا العدول عن ذكرهما .

(2) (خزانة الأدب) ، ص . 433-434 .

(3) لا يفيد الانتقال ، ههنا ، تلك الحركة العقلية التي تنتفي معها الحاجة إلى قرينة . أو ما يرتب وجود علاقة (لازم --- ملزوم) ... وإنما يفيد انتقال الذهن من فهم ما يتبادر إليه أول وهلة ، إلى بناء المسكوت عنه في التركيب . ولما كان المؤدى كذلك ، فإنه لا يمكن أن يدرك المورى به والمورى عنه دفعة واحدة ، وفي وقت واحد ، بل يتصور أن يكون المتلقي لمعنى أسرع فهماً منه لمعنى آخر .

المعنى»<sup>(1)</sup> من ابن حجة ، حصر السياق الإحالي للوحدتين المعجميتين ، في إطاريهما الثقافي والاجتماعي . أي على أساس أنهما يمثلان الصورة الحقيقية التي توصل بالضرورة إلى استحضار شخصيتين : الأولى تمتلك على مستوى فيزيولوجي ، كل مقومات الجمال والفتنة . والثانية على النقيض من ذلك ؛ ناهيك عن بُعد ما بينهما على مستوى جغرافي . أي على مستوى الحقيقة الجغرافية القائمة على التقابل المكاني .

صحيح أن ابن حجة ، يمتلك ذخيرة معجمية متعددة المداخل ، وله قدرة أدبية هائلة مكنته من اكتشاف المعنى الرمزي للوحدتين - موضوع القراءة . ومع ذلك ، فإنه لم يعمل سوى على تهميش «الذات المتخيلة» لدى عمر بن أبي ربيعة ، في مقابل تشبثه الشديد باستحضار ذاته الواقعية ، التي عايشت زواج سهيل من الثريا . يقول الشريف المرتضى : «إن الشاعر لا يجب أن يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد ، فإن ذلك متى اعتُبر في الشعر بطل جميعه . . . [إن] كلام القوم مبني على التجوز والتوسع والإشارة الخفية» .<sup>(2)</sup> ولنا أن نوضح قراءة ابن حجة للفظتين ، اعتماداً على السمات المميزة<sup>(3)</sup> التالية :

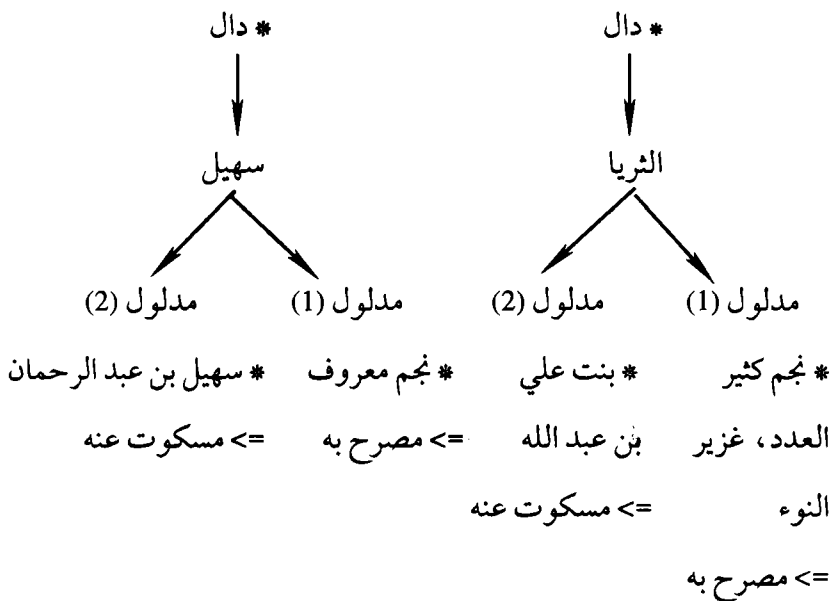
---

(1) (القارئ في النص) . ايزر ، من مقابلة أجرتها نبيلة إبراهيم مع الناقد ، مجلة (فصول) عدد خاص عن (الأسلوبية I) 1984 ، ص . 107 .

(2) (أمالى المرتضى : غرر القوائد ودرر القلائد) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط . 1967 . ص . 92-93 .

(3) بخصوص التحليل بالمقومات الذاتية والسياقية ، يُستحسن الاطلاع على كتاب الدكتور محمد مفتاح (تحليل الخطاب الشعري) ، ط 1 / 1985 - ص . 88-95 .

المقومات الذاتية والسياقية	
سهيل	الثريا
[+ حي]، [+ إنسان]، [+ عاقل]	[+ حي]، [+ إنسان]، [+ عاقل]
[+ يمانى الدار]، [+ ذميم الخلقة]	[+ جميلة فاتنة]، [+ شامية الدار]
[+ زوج الثريا بنت علي]	[+ زوجة سهيل بن عبد الرحمان]
[+ الشرف وعزة الجانب]...	[+ الشرف وعزة الجانب]...



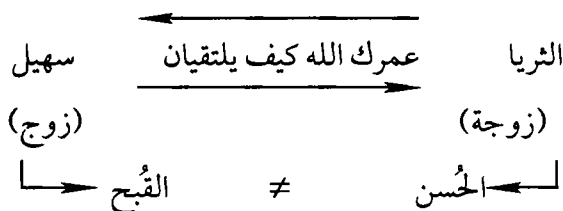
لكن مزيداً من التعمق في دراسة التورية ، سيوضح أن قيام المعنى الشعري على إمكانين في آن واحد ، يحمل بين ثناياه توجيهات عن كيفية قراءته قراءة منفتحة ، تتجاوز زمن القراءة الأولية ، التي تمثل الدهشة الفنية بالمعنى «المتبادر إلى الذهن أول وهلة» ، وزمن القراءة الاستيعادية (Rétrospective) ، التي تمثل «الاستيعاب الإيجابي للمعنى»<sup>(1)</sup> العاكس لمقصدية الشاعر ، إلى زمن قراءة تقدمية (Progressive) تعيد بناء دوال القول الشعري ، على عدد من التفسيرات والتأويلات المحتملة . أي على تأويلات تُظهر بعدها التاريخي ، الذي تم التغاضي عنه من قبل القراءة الأولى والثانية<sup>(2)</sup> . إنك لتنظر في البيت الشعري دهرأ طويلا وتفسره - كما يقول عبد القاهر الجرجاني - «ولا ترى أن فيه شيئاً لم تعلمه ، ثم يبدو لك فيه أمر خفي لم تكن قد علمته ... ، ومن ذلك كذلك أنك ترى من العلماء من قد تأول في الشيء تأويلاً وقضى فيه بأمر ، فتعتهقه اتباعاً له ، ولا ترتاب أنه على ما قضى وتأول ، وتبقى على ذلك الاعتقاد الزمان الطويل ، ثم يلوح لك ما تعلم به أن الأمر على خلاف ما قدر»<sup>(3)</sup> .

ولعلنا لسنا في حاجة إلى تأكيد القول ، بأن هذا النوع من القراءة ، لا يعني حمل باث الرسالة الشعرية على إرادة ما لا يريد ، أو أننا نجبر ذواتنا على بناء معاني مفترضة لا نفتنح بجدواها ، وبالنتيجة إمكان قول ما يطيب لنا قوله بغية بناء معاني التورية في بيتي عمر بن أبي ربيعة . وإما

- 
- (1) (القارئ في النص) ، مرجع مذكور ، ص . 107 .  
(2) انظر بخصوص التلقي الجمالي و(ثلاثية الأزمنة) ، وما تنطوي عليه من كفاية إجرائية في رصد مراحل تلقينا للأثر الفنية ، كتاب هانس روبرت ياكوس :  
(Pour Une herméneutique littéraire), p. 357-358; (394)(439).  
(3) (دلائل الإعجاز) ، ص . 553-551 .

القصد أنه ما دمنا متلقين مُبْنَيْن<sup>(1)</sup> في قول عمر، فإنه لابد أن نستنتق حقيقته، بقدر ما نستفز ذواتنا القارئة ونسائلها.

وهكذا، فليس من المستبعد أن يكون السياق النصي الذي انضبطت له اللفظتان (الشريا + سهيل) منسجما، إلى أبعد الحدود مع قراءة ابن حجة، ومن قبله، مع قراءة ابن رشيقي القيرواني وأسامة بن منقذ وأبي جعفر الرعيني الغرناطي.



كما أنه لا يمتنع أن تدخل اللفظتان ضمن علاقات جديدة، لا نعثر عليها في الواقع المعيش، بل لا يمتنع أن يكون اسم، الشريا وسهيل في عداد الوهم المرجعي عند الشاعر<sup>(2)</sup>، ما دام أن كثيرا من الشعر العربي -

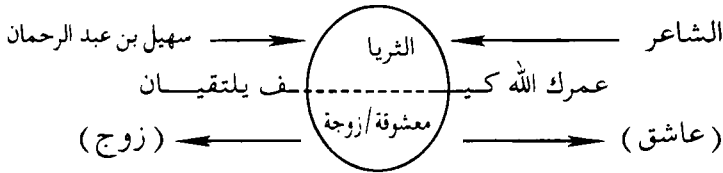
(1) W. Iser (L'acte de lecture), p. 66-69, 73.

(2) بشأن (الوهم المرجعي) وشروط تسويغ الدلالة الشعرية، انظر، مايكل ريفاتير، ضمن كتاب (الأدب والواقع)، ترج: عبد الجليل الأزدي ومحمد معتصم، نشر تينمل، 1991، ص. 45-67.

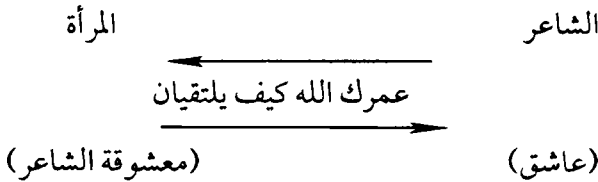
لابد من الإشارة، هنا، إلى أن مبادرة القارئ في صياغة فرضية قرائية، تتمثل انطلاقا من مقصد النص، ويتعين «أن نقابل هذه الفرضية ومجموع النص بوصفه وحدة عضوية. وليس معنى هذا أن النص لا يسمح إلا بفرضية واحدة ووحيدة، بل معناه بكل بساطة أن كل تخمين يجب أن يمحى - في نهاية المطاف - انطلاقا من توافقه مع انسجام النص الذي يقضي بعض الفرضيات الاعتبارية» مجلة (علامات) ع 1998/10، مقال لامبرطو إيكو، بعنوان: (ملاحظات حول سيميائيات التلقي) ترج: محمد العماري. ص. 36.



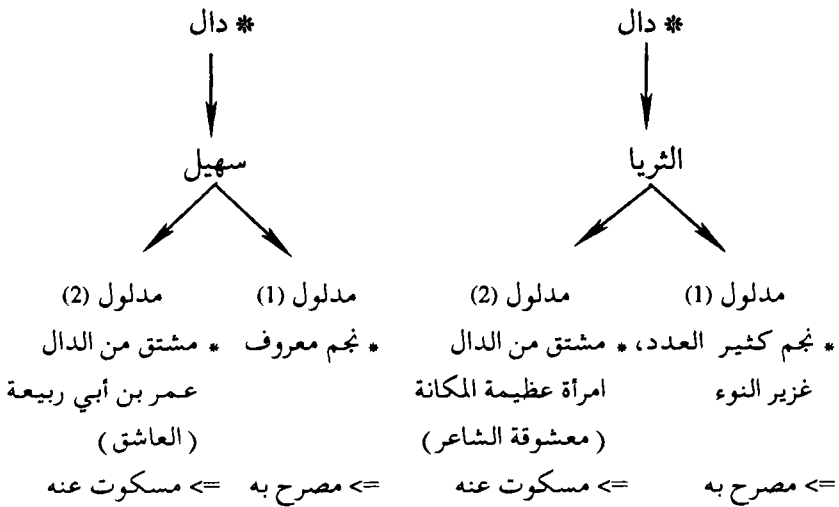
قديمه وحديثه - مبني على ذلك . وعلى هذا، يحتمل أن يكون الشاعر قصد إلى ماكان بينه وبين الثريا بنت علي ، من وصال ومحبة . . . لكن للمؤسسة الزوجية سلطتها، وللأعراف الاجتماعية حقها في الحضور وقوتها في قطع الصلة المنعقدة بين المحبين .



ويحتمل أن تكون الثريا، وحدة رمزية (Unité symbolique) لامرأة أخرى، عظيمة المكانة، كان الشاعر يجدُّ بها ويتمنى أن يتزوجها، ولكن لا يجد إلى قلبها سبيلا . والذي يعضد هذا الافتراض، هو أن كتب الأدب والمصادر التاريخية بعامة، - بصرف النظر عن الديوان - لاتني تذكر تغزل عمر، بله، تلهيه بأكثر من امرأة؛ وأنه كان في التودد إليهن، والتعلق بهن طرائق قدداً .



المقومات الذاتية والسياقية	
الشاعر	المعشوقة
[+حي]، [+إنسان]، [+جميل]	[+حي]، [+إنسان]، [+عاقِل]، [+فاتنة]، [+عاشقة]
[+عاشق]، [+الشرف وعزة الجانب]،	[+الشرف وعزة الجانب]، [+كتومة]، [+متمنعة]
[+صبور]، [+كتوم]، [+بعيد الدار]..	[+بعيدة الدار]، ....



### النتيجة :

- صورة التورية في البيتين خاضعة لتردد بين أكثر من مدلول واحد، دون أن يفيد التردد إمكانية سيطرة مدلول على آخر، أو لزوم وانتقال من أحدهما إلى الآخر، بل كل مدلول يميل إلى الاستقلالية والتميز.

- شروط إنتاج التورية قائمة على التفاعل بين السياق المقامي والسياق الإحالي المرجعي .

ويتفق على هذا الوجه ، أنه بمقدار ما تكون العبرة في التورية البلاغية بالمقاصد والمعاني ، تكون العبرة بألفاظها ومبانيها كذلك . ذلك أنه من شأن التورية أن تعرض في موجهاتها السياقية اختلاف القراءات على الجملة . وهذا يعني من جملة ما يعنيه ، أن هذه الموجهات مصوغة بشكل يجعلها تقرأ في سياق حركة عكسية ، بين معناها القاموسي ومعناها السياقي النصي . قال القاضي عياض :

كأن كانون أهدى من ملابسه      لشهر تموز ألوانا من الحلل

أو الغزالة من طول المدى خرفت      فما تفرق بين الجدي والحمل

فبعض البلاغيين يرى أن التورية في الغزالة مرشحة ، لأن عبارة خرفت - أي قل عقلها - تناسب المعنى القريب ، وهو الطبي ، وهذا عند بلاغيين آخرين ، ليس برأي ، لأن المعنى قائم على التصوير والتخييل . فإسناد (خرفت) إلى الغزالة استعارة تخيلية . . . وبعضهم يرى أن الغزالة والجدي والحمل ، توريات مرشحة تشرح كل منها الأخرى ، وهذا كذلك ليس بصحيح في نظر بعض البلاغيين . لأن ملائم المعنى ولوازم التورية يشترطان فيها ألا تكون ألفاظا مشتركة ، والوحدات المعجمية السالفة الذكر ، مشتركة بين المعنيين المذكورين لكل منها .

ومن البلاغيين من يحمل هذه الوحدات على نوع التورية المبيّنة ؛ فالمعنى القريب للغزالة : الطيبة ، وللجدي : ولد المعز ، وللحمل : ولد الضأن . والمعنى البعيد للغزالة (الشمس) وللجدي (برج الجدي) ، وهو

برج البرد، وللحمل (برج الحمل)، وهو برج الدفء. وقد ذكر في البيت الأول ما يلائم هذه المعاني المسكوت عنها، وهو إهداء كانون من ملابسه لتموز ألوانا من الحلل. ومعنى البيت الثاني أن الشمس قد خرفت، فبدل أن تنزل في برج الدفء، نزلت في برج البرد، وكأنها لم تدرك الفرق بين البرجين. (1)

على أن من البلاغيين من ردّ هذا التأويل ودفعه، وقال بالتورية المجردة في الغزاة والجددي والحمل، لأن الشاعر لم يذكر قبل لفظة الغزاة ولا بعدها شيئا من لوازم المورى به، كالأوصاف المختصة بالغزاة الوحشية، من طول العنق، وسرعة الالتفات، وسرعة النفرة، وسواد العين... ولا من أوصاف المورى عنه، كالأوصاف المختصة بالغزاة الشمسية، من الإشراق والسمو والطلوع والغروب. (2)

ضمن هذا المرتكز الاحتمالي في القراءة، يمكن إذن، أن يتحقق إدراكنا لما «اشترك الناس في معرفته، وكان مستقراً في العقول والعادات»؛ (3) وضمنه كذلك، يمكن أن نؤول نوع القيم الثقافية والسلوكات الاجتماعية، التي تنتقيها النصوص الشعرية فتشكل مرجعيتها الفنية. إن المقصود بالشعر الاحتيال في تحريك النفس لمقتضى الكلام بإيقاعه منها محل القبول. (4)

---

(1) (تحرير التحرير)، ص. 270. و(شروح التلخيص)، ج 4. ص. 325. و(علم البديع، دراسة تاريخية لأصول البلاغة ومسائل البديع) عبد الفتاح بسيوني، ص. 178.

(2) انظر (علم البديع) عبد العزيز عتيق، ص. 127.

(3) (أسرار البلاغة)، ص. 294.

(4) انظر (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجني، ص. 294.

قال عنترة بن شداد العبسي : (كامل)

يا شاة ما قَنَصٍ لمن حَلَّتْ له      حَرُمْتُ علي وليتها لم تَحْرُمِ  
فَبَعَثْتُ جَارِيَتِي فَقُلْتُ لَهَا اذْهَبِي      فَتَحَسَّسِي أَخْبَارَهَا لِي وَاعْلَمِي

فقد فسّرت الوحدة المعجمية (شاة) على أساس أنها تورية، تحتمل معنيين : الأول يدل على معناها الذي يوجبها ظاهرها، وهو الحيوان المعروف، وقد تم تقريب هذا المعنى غير المقصود بلفظ القنص. والثاني موري عنه يدل على امرأة أبي الشاعر عنترة، وكان يهواها، وقيل : بل كانت جاريتَه ؛ فلذلك حرّمها على نفسه، وهذا هو المعنى البعيد المقصود من التركيب الكلي للبيت. قال الأخفش : «معنى (حرمت علي) أي : هي جارتني، و(ليتها لم تحرم)، أي : ليتها لم تكن لي جارة، حتى لا يكون لها حرمة . . . ». <sup>(1)</sup> وهناك من القراء من حمل لفظة (الشاة) على معنى المرأة مطلقا على سبيل الكناية. قال الأعلام الشنتمري (ت 476 هـ) : «قوله : يا شاة ما قنص، يريد يا شاة قنص، و«ما» صلة، وكنتى بالشاة عن المرأة، والقنص : الصيد، وفي الكلام معنى التعجب. وقوله حرمت علي، أي حلت بحيث لا أستطيع مرامها ولا أصل إليها. وقوله : فتحسسي أخبارها، أي نقبي عنها واعلمي حقيقتها». <sup>(2)</sup>

---

(1) انظر (شرح القصائد العشر) صنعة التبريزي، ص. 304، و(العمدة) لابن رشيقي، ج. 531/1.

(2) (ديوان عنترة)، رواية الأعلام، ص. 213-214، وانظر كذلك (شرح القصائد العشر)، التبريزي، ص. 304، و(شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) ابن الأنباري، ص. 353.

وفي هذين التفسيرين كبير تحقيق مع غموض ، وأقرب منه للتواصل  
البلاغي المنتج ، ما نجمله في النقاط التالية :

1- أن المعنى القريب للفظـة (الشاة) ، هو فيما يسنده التحقيق  
المعجمي المبني على العرف المجتمعي . نقصد : المبني على العلاقة  
التوقيفية ،<sup>(1)</sup> بين لفظـة الشاة ومعناها ، كما تم التعاقد عليه والالتزام به  
اجتماعيا .

2- أن القصد الضمني للشاعر من لفظـة الشاة ، هو فيما يسنده  
العرف الشعري (Convention poétique) ، الذي يحصر معناها في حدود  
الكناية عن المرأة . يقول ابن رشيق (ت 456 هـ) : «وأما التورية في أشعار  
العرب ، فإنما هي كناية : بشجرة ، أو شاة ، أو بيضة ، أو ناقة ، أو مهرة ، أو  
ما شاكل ذلك» . ومثل هذا التحديد نلمحه في كتاب (الصناعتين) وكتاب  
(المتزع البديع) ، وكتاب (النهاية في الكناية).<sup>(2)</sup>

وفي الحقيقة ، إن الكناية أدخلت ، ههنا- بصرف النظر عن التدافع  
الحاصل بينها وبين التورية لدى بعض المعجميين<sup>(3)</sup> والبديعيين ، في دائرة  
المجازات التي تواضعت عليها الجماعة اللغوية ، وهو ما يجعل الباث  
والمتلقي يتقيدان بها ، لا يستطيعان الخروج عن إطارها . إنها تمثل «العرف

---

(1) انظر (دلائل الإعجاز) ، الجرجاني . ص . 267 .

(2) (العمدة) ج 530/1 و(الصناعتين) ، ص . 381 . و(النهاية في الكناية) للشعالبي ،  
ص . 14-13 . و(المتزع البديع) ، ص . 429 .

(3) من بين هؤلاء المعجميين الذين لم يجدوا كبير تمييز بين الكناية والتورية ، نلفي ابن  
منظور ، في معجمه الضخم (لسان العرب) - مادة : وري .

البياني» أو «التواضع المجازي»،<sup>(1)</sup> الذي يساوي في سلطته المواضعة الحقيقية. يقول مايكل ريفاتير بهذا الشأن: «ومع أن النعوت الجاهزة عرفية، فإنها تبقى حية بعد موت الجماليات التي تخلفها. وهي تظل فعالة لسبب أساسي، هو أن القارئ يكون مجبراً بقوة على إدراكها بأنها شعرية، لأنها كلما كانت واضحة، بدت أكثر ابتعاداً، بعد مرور الزمن عن اللغة اليومية».<sup>(2)</sup>

3- إن دمجنا للوحدة المعجمية (شاة) ضمن مجموع الحقائق التاريخية والاجتماعية التي عايشها عنترة، وإدراكنا للسياق النصي العام الذي تحركت ضمنه، يفترض أن يكون معناها الثاني (كناية عن عبلة) ابنة عمه. وليس كناية عن امرأة أبيه، أو عن جارية أو امرأة أخرى على سبيل الافتراض والتخمين. فمن الذائع المستفيض في مظان كثيرة، ضَمَّت العديد من الأخبار عن حياة عنترة، الشخصية والشعرية،<sup>(3)</sup> أن هذا الأخير ظل متيماً، معلق النفس بمحبوبته عبلة، ينشد هواها، ويطلب ودها فكان لا ييغني عنها بدلاً.<sup>(4)</sup> وبإمكان المتأمل في أبيات

---

(1) انظر (التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم). ص. 24. و(معجم البلاغة العربية) بدوي طبانة، ص. 177-178. ط. 1997. دار ابن حزم، بيروت.

(2) (دلاليات الشعر)، ص. 44.

(3) انظر على سبيل المثال (ديوان المعاني) لأبي هلال العسكري، و(معجم الأمثال) للميداني (ت 518هـ)، و(شرح شواهد المغني) للسيوطي، بالإضافة إلى الملاحظات وشروحها.

(4) من الأسماء النسائية التي ذكرها عنترة في شعره، نلفي اسم رقاش، وقطام، وسمية. وهذا في ما نعتقد، من عادات وتقاليد الشعراء الجاهليين في الكتابة الشعرية. انظر، القصصتين (5) و(24). من (ديوان عنترة).

شعرية أخرى، محايشة لهذا البيت - موضوع القراءة - أن يلحظ مدى إخلاص الشاعر لعبلة، وتمكنها من نفسه . يقول :

ولئن سألتَ بذلكَ عبلةَ خبَّرتَ      أن لا أريد من النساء سواها .<sup>(1)</sup>

كما يلحظ ، مدى الترابط الشديد بين الأبيات المكونة للموضوع الجزئي «الغزل» في معلقة عنترة ، والنظام الدلالي الذي يعكسه البيت الشاهد [اتصال ≈ انفصال] . يقول :

شطت مزار العاشقين فأصبحت      عسراً علي طلابك ابنةً مخرم  
علقتها عرضاً وأقتل قومها      زعماً ورب البيت ليس بمزعم  
إني عداني أن أزورك فاعلمي      ما قد علمت وبعض ما لم تعلمي  
حالت رماحُ ابني بغيض دونكم      وزوت جواني الحرب من لم يجرم<sup>(2)</sup>

فالشاعر يبدو مهووساً بحاضر ذي صورتين أساسيتين ، ولدتهما حركة الزمن من حيث هو بؤرة للتحويل والتغير . فالأولى ترتبط بانصرام زمن الأشواق الملتاعة بين الحبيبة عبلة ، التي ظننت فاستقرت في مكان يصعب الوصول إليه ، والشاعر الذي ظل متمسكاً بها ، لكن دون جدوى . أما الصورة الثانية ، فمتصلة بالشاعر الذي يخوض معركة لم يجترم بتهيجها ، بين عبس وذيان ؛ وهو ما جعله يفصل عن محبوبته ، وبالتالي يعسر عليه طلابها ، وكل هذا مما يؤسف له ويتحسر عليه .

---

(1) (ديوان عنترة) ، ص . 308 .

(2) نفسه ، ص . 190-191 و 200 .

- ابني بغيض : أي عبس وذيان .

- زوت : منعت .



إن الاتصال بساحة المعركة لمنازلة الأعداء ، لم يكن صورة شعرية متخيلة تتم لذاتها ، أو حتى رغبة في إظهار رسوخ القدم في القتال - وإن كانت من الأمور الملزمة للشاعر - بل من حيث التقيض المباشر لحاضر العجز المطلق ، عن الاتصال بمحبوبته عيلة .

- ثبات في العلاقة  $\simeq$  اتصال في الماضي  $\leftarrow$  استقرار

- تغير في العلاقة  $\simeq$  انفصال في الحاضر  $\leftarrow$  تنقل

(اتصال في الماضي  $\neq$  انفصال في الحاضر)

- اتصال في الحاضر = المنازلة والقتال

- انفصال في الحاضر = استحالة اللقاء بالحبيبة .

#### 4 . 2 . المعنى الشعري وسنن القراءة

ثمة إشكالات عديدة قد تثار في شكل ملاحظات ، تخص جامع الغموض بين الكتابة الشعرية والقراءة البلاغية ؛ وذلك في ضوء ما استثمرناه من مفاهيم وأدوات إجرائية ، استقيناه من شعرتنا العربية القديمة ، وكذا من الدراسات والأبحاث النقدية الغربية ، التي آلت على نفسها بناء تصور شمولي لمفهومي النص والقراءة .

لقد أوضحنا في السابق ، أن المتلقي ملزم بأن يكون ملما إماما واسعا بالمشارك العام اللفظي ، حتى يتمكن من بناء المعاني التي تستبطنها الوحدات المعجمية المورى بها عن مقاصد الشعراء . كما أشرنا إلى أن ذخيره القرائية ، مفروض فيها الاتساع لتشمل القيم والمعايير الاجتماعية

والتاريخية المحددة لسياق التراكيب الشعرية؛ بالإضافة إلى ضرورة استيعاب الفروقات القائمة، بين الوظيفة العملية والوظيفة الشعرية للغة. وبمعنى ما، إن غياب هذه الشروط والضوابط من شأنه أن يصيب عملية الانصهار، بين علامات النصوص الشعرية وفعل التأويل عند المتلقين بالشلل والعجز.

وهذه، على ما يبدو، خلاصة مكتملة الجوانب في مستوى التصور، لكنها قد تفرز إشكالات كثيرة في مستوى الممارسة والانجاز. من ذلك تمثيلاً. أنه إذا كان المعنى البعيد المأخذ من الوحدة المعجمية (ثعلب) الواردة بنظم لأبي الطيب المتنبي (ت 354هـ): (وافر)

يَشْلُهُمْ بِكُلِّ أَقْبَ نَهْدٍ	لفارسه على الخيل الخيَّارُ
وكلَّ أَصَمٍّ يَعْسَلُ جَانِبَاهُ	على الكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُمَّارُ
يُغَادِرُ كُلَّ مُلْتَفَتٍ إِلَيْهِ	وَلَبَّتْهُ لُثْعَلِبُهُ وَجَارُ <sup>(1)</sup>

هو ما دخل من الرمح في جُبَّة السنان، وأن هذا الرمح يترك من يريغه من المنهزمين، ولبته. أي نحره. مطعون يدخل ثعلبه، أي طرف الرمح، في نحره بمنزلة الوجار للثعلب. . . (2) وأن معناها القريب المأخذ،

(1) يشلهم: يطردهم. الأقب: الضامر البطن.

يعسل: يضطرب. الممار: المجري من أمرت الدَّم أي أجرته.

الوجار: بفتح الواو وكسرهما.

- قال ابن الشجري: (الثعلب: مخرج الماء من جَرِين التمر. والجرين للتمر مثل البيدر للغلة)، (ما اتفق لفظه واختلف معناه) تح: عطية رزق، بيروت، ط.

1992-1 ص. 69.

(2) يشير الواحدي النيسابوري في شرحه لهذا البيت، إلى أن لفظه (الوجار) تطلق

على بيت الضبع والثعلب ونحوها من الوحش، انظر (شرح ديوان المتنبي)، ص.

570. نشر، فريد راخ ديتريش، برلين 1861. و(الطراز) للعلوي، ص. 429-428.

هو الحيوان المعروف بالحيلة والختل، بدليل أن لفظة (الوجار) الدالة على بيت الثعلب، قد تؤدي بمفسر البيت إلى هذه القراءة؛<sup>(1)</sup> قلنا، فإنه بات من الواجب الإقرار بأن لفظة (ثعلب)، قد أدخلت في خانة المكرور والمعاد والمبتذل.<sup>(2)</sup> ذلك أن سياقها الإحالي ثابت ومستقر في المواضع الاجتماعية العربية مدة طويلة، يتداوله القراء السابقون والمتأخرون تاريخياً، على أساس أنه ملك مشاع بينهم. وإذا كان المؤدى كذلك، صرنا إلى التسليم بأنه لا حاجة للمتلقي المعاصر، في أن يكلف نفسه اليوم، عناء البحث والاستنباط في أجهزة القراء السابقين، وتمثل ما تكبدوه من مشاق، بغية ربط الدلالة اللغوية بالدلالة العقلية لتلك اللفظة؛ اللهم إلا ما يمكن أن يكون محض عشق خالص في التمسك بالسنتية الثقافية.<sup>(3)</sup> كما أنه سيكون مزجياً للوقت، ومضيقاً لجهوده في القراءة، إن هو جرد من ذاته القارئة ذاتاً شاعرة. ولتكن ذات المتنبي - يحاول ما أدته طاقته التخيلية إلى استحضار مجالها التصوري أثناء عملية الإبداع الشعري.

إن الذي نميل إلى القول به - استناداً إلى أمثلة كثيرة من الشعر العربي - هو أن قارئ مبحث التورية في القرن الواحد والعشرين، يظل

(1) انظر (شرح ديوان أبي الطيب المتنبي) = معجز أحمد، لأبي العلاء المعري. ج 3/ 471-272.

(2) يذهب السيوطي في (الزهر) إلى أن الابتذال لا يوجد في اللفظ ذاته وإنما هو مرتبط بتحول وتغير في إعماله في الزمان والمكان يقول: «اعلم أن الابتذال في الألفاظ وما تدل عليه وصفا ذاتيا ولا عرضا لازما، بل لاحقا من اللواحق المتعلقة بالاستعمال في زمان دون زمان وصقع دون صقع». ص. 191. وانظر كذلك (دلائل الشعر) ص. 265.

(3) انظر (تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص)، لمحمد مفتاح، ص. 134.

مظهراً للمعنى، وكاشفاً للدلالة المصنوعة سلفاً وليس بمنشئ أو مبتدع لها،<sup>(1)</sup> لأن الإنشاء ثابت والابتداع مقرر، أولاً، لدى الشاعر الذي يقيم مقصديته في تصويره الذهني، قبل أن تستحيل إلى وقائع متحققة.<sup>(2)</sup> إننا ونحن نقرأ التشكيل المعنوي للوحدات المعجمية، لا نقرأ ونحن نطلقاً، بل مقيدين بمقصدية الباث التي لا ندركها على وجه الدقة؛ وهذه من المفارقات، أو قل، هي من الأسس المضللة التي قام عليها مبحث التورية في البديع العربي. وثانياً، لدى سدنة البلاغة والنقد العربيين -رحمة الله عليهم أجمعين!-، ممن تفاعلوا مع نصوص الشعر العربي فرسخوا بالتعاقب وأصلوا بالتواتر ما يمكن نعتة بـ «السننية القرائية».<sup>(3)</sup>

1- قال أبو عبادة البحريري: (كامل)

ولو أنني أنصف في شرع الهوى      ما شمت بارقة ورأسى أشيبُ  
ووراء تسدية الوشاح مليه      بالحسن تملح في القلوب وتعذب

فالوحدة المعجمية (تملح)، مما لا يقصد فيها الإبانة والتصريح. فهي تحتل أن تكون من الملوحة التي هي النقيض المباشر للعدوبة، وهذا

(1) القراءة بالمائلة في الشعرية العربية القديمة) أحمد طايحي. منشورات زاوية للفن والثقافة، الرباط، ص. 158 و166.

(2) انظر (دلائل الإعجاز)، ص. 44.

(3) يذهب الدكتور محمد العمري، في مقال له نُشر بجريدة "الرياض" السعودية، تحت عنوان (منابت البلاغة العربية) إلى أن البلاغة العربية شذت إليها كتب النقد الأدبي وألزمها باقتسام المجال. فنجدها تحضر عند قدامة بن جعفر كشريك، ثم تستولي على الساحة النقدية عند حازم القرطاجني، حيث يمكن القول بأن النقد قد صيغ صياغة بلاغية. (انظر المقال في موقع الأستاذ العمري على الأنترنت).

. [www.medelomari.free.fr](http://www.medelomari.free.fr)

هو المعنى القريب المورى به . ويحتمل أن تكون من الملاحه ، وهي البهاء والجمال والحسن ، وهذا هو المعنى البعيد المقصود . وقد تم ذكر ما يلائم هذا المعنى وهو قوله (ملية بالحسن) ، أما (تعذب) فيلائم كلاً من الملاحه والمलोحة : يناسب الأولى على أنهما ضدان ، ويناسب الثانية على أنهما مترادفان . (1)

2- وقال يحيى بن منصور ، وقيل موسى بن جابر الحنفي : (2)  
(طويل)

فلما نأت عناً العشيرة كلها      أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر  
فما أسلمتنا عند يوم كريهة      ولا نحن أغضينا الجفون على وتر  
ففي الوحدة المعجمية (الجفون) إغماض وبعء عن البيان . فهي تتضمن معنيين : الأول قريب مورى به ، وهو جفون الأعين . وقد تقدم ذكر موجه من موجهات هذا المعنى ، وهو الإغضاء أو الإغماض ، الذي هو من لوازم العين . والثاني بعيد لا يتم تصويره إلا بالمعنى الظاهر ، وهو (جفون السيوف) أي : أغمادها . أما ذكر السيوف في البيت الأول ، فهو قرينة التورية ، ولذا لا يعد من لوازم المعنى البعيد . (3) قال أبو علي المرزوقي : «يقول : لما خذلتنا عشيرتنا . . . وتباعدت بنصرتها ومعونتها عنا . . . اتخذنا سيوفنا حلفاء على الدهر ، فما خذلتنا في يوم حرب

(1) انظر قراءة البيت في (خزانة الأدب) لابن حجة . ص . 432 . و(البديع في نقد الشعر) لأسامة بن منقذ ، ص . 60 . و(طراز الحلة وشفاء الغلة) ، ص . 465 ، حيث الاختلاف واضح في الرواية .

(2) (شرح ديوان الحماسة) للمرزوقي ، ج 1 ، ص . 326 .

(3) نفسه . ج 1 ، ص . 326 . و(شروح التلخيص) ج 4 ، ص . 324 .

وعند مدافعة وجهه، ولا نحن غمضنا جفوننا على وتر وحقد... وهذا مثل ضربه لاستقلالهم فيما نهضوا فيه بعددهم وعدتهم... وقوله: (أنخنا) كناية عن الإقامة والثبات في وجوه الأعداء إلى أن وصلوا إلى المراد<sup>(1)</sup>.

3- وقال سراج الدين الوارق، وهو من شعراء مصر المولعين بالبديع في شعرهم (ت 659 هـ): (وافر)

أصون أديم وجهي عن أناس لقاء الموت عندهم الأديب  
ورب الشعر عندهم بغيض ولو وافى به لهم حبيب

فالحودة المعجمية (حبيب) مما يوقع في معناها غموضا واشتكالا. فقد ذهب المفسرون إلى القول بتضمنها لمعنيين: الأول ما يدل على الحبيب المقرب إلى القلب، وهذا هو (المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن أول وهلة)؛ وهي تأتلف بهذه الدلالة مع كلمة بغيض، حيث تشكل اللفظتان طباقا واضحا. والثاني ما يدل على (حبيب بن أوس الطائي: أبو تمام)، وهذا هو مقصد الشاعر. حيث تلتطف، فورى عنه بالمعنى الظاهر. ومضمون كلام الشاعر، هو أن الناس يستخفون بصناعة الأديب، ويكرهون الكلام الشعري، حتى لو دبَّجَه شاعر عَلمٌ، مثل حبيب الطائي<sup>(2)</sup>.

(1) نفسه. ج 1، ص 326-327. وانظر قراءة، بسيوني عبد الفتاح، في (علم البديع، دراسة تاريخية). ص 174.

(2) انظر (علم البديع) عبد العزيز عتيق، ص 124. و(البيان والبديع)، ص 204.

فما الفائدة، إذن، من التورية في لفظة (تملح/ ب 1)، ولفظة (الجفون/ ب 2)، ولفظة (حبيب/ ب 3)<sup>(1)</sup> بعد أن صيغت وعُرضت، ثم أزيح عنها كل إبهام واشتكال، فأصبحت - في سياقاتها التركيبية تلك - واضحة، خالية من الفراغات والبياضات الدلالية. وهكذا ترسخت وتأصلت بأبعادها الجمالية في كتب البلاغيين والنقاد العرب المتأخرين، ودراسات وأبحاث البلاغيين المعاصرين، دون أن يلابسها أدنى تبدل أو تغيير. أليس من حقنا القول، بأن التورية «لا تكون مبتذلة إلا عندما يتم تيسيرها».<sup>(2)</sup> وأن بناء معنى المورى عنه/ المسكوت عنه، سيكون ممكناً وممتعاً في آن واحد، حيث كان مغالطاً ومُضللاً،<sup>(3)</sup> أما الآن - ولما ظُفر بالدلالة الوضعية للألفاظ، وبسياقاتها السوسيوثقافية على ذلك الوجه - فإنه لم يعد بناؤه عزيزاً متمنعاً، ولا جليلاً يكون فيه موقع من النفس ومكانة مكيئة من الفهم تجترح دلالات جديدة. إن الرأي العام يكون على استعداد تام لنسيان كل شيء، عندما يكون باستطاعته معرفة كل شيء.<sup>(4)</sup>

إن القراءات التي خضعت لها العديد من أبيات الشعر العربي، في إطار مباحث البلاغة العربية - ومبحث التورية واحد منها - من قبل علماء البلاغة والنقد، من أمثال ابن رشيق، وابن الأثير، وابن أبي الأصبع،

(1) انظر (المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث)، جماعة من المؤلفين. ترج: عبد القادر قنيني، ط. 2000/2، إفريقيا الشرق، البيضاء، ص. 38.

(2) (دلاليات الشعر)، ص. 265.

(3) التفاعل بين النص والقارئ، ايزر - ترج: الجليلي الكدية، ص: 9.

(4) Bougnous, D.: (La Communication par la bande). Edit. la découverte, Paris, (4) 1991, p. 254.

وأسامة بن منقذ، ويحيى بن حمزة العلوي، والقزويني، وأبي جعفر الغرناطي، وابن زاكور الفاسي، وأحمد بن محمد بن يعقوب الولايلي المغربي امتدت بالتواتر والتعاقب، دون أن يلحق أفق انتظارها التعليمي أي تغيير أو تجديد؛ فتلقفناها، هكذا، بأفقهها الجاهز والمقدس، فتنافت بذلك مع الأبعاد التصورية المفتوحة، التي كانت تحكم، عترة، وعمر بن أبي ربيعة والبحتري والمنتبي وشيخ المعرة، أثناء إبداعهم الشعري.

لقد لاحظنا أن ماجاءت به العديد من دراسات البلاغيين العرب المحدثين والمعاصرين، من أبيات شعرية تمس علم البيان عامة، ومباحث علم البديع خاصة، وما بنته قراءاتهم من دلالات تخص الفصاحة المعنوية - والتورية جزء منها - لم تخرج في نماذجها التمثيلية ومحصلتها التأويلية، عن استنساخ ما ثبتته وأقرته أجهزة قراء سابقين هي في أصل تكوينها مجتلبة. حيث عمدت إلى تحيين<sup>(1)</sup> (Actualisation) معاناتهم، مما تحتم معه الاستجابة المطلقة واللامشروطة لأفق تصوراتهم<sup>(2)</sup>، وبالنتيجة

(1). (Pour une esthétique de la réception). p: 48.

(2) انظر على سبيل المثال، لا الحصر، الأبحاث والدراسات التالية:

- (البلاغة العربية: البيان والبديع) لفايز الداية. 1984

- (في علمي المعاني والبديع) حسن طبل - 1985).

- (دراسات في علم البديع) لأحمد محمد علي 1986.

- (البلاغة وقضايا المشترك اللفظي) عبد الواحد حسن الشيخ 1986.

- (البديع: تأصيل وتجديد) منير سلطان 1986.

- (علوم البلاغة) مصطفى المراغي.

- (الصبغ البديعي) أحمد إبراهيم موسى.

- (علم البديع) عبد العزيز عتيق. 1985.

- (البلاغة العربية في ثوبها الجديد: علم البديع) بكري شيخ أمين 1991.

- (علم البديع، رؤية جديدة) أحمد أحمد فحل 1996. =



الاستيعاب الأكبر لمعطيات الحاضر في أسئلة الماضي . وكان لسان حالهم في القراءة الجمالية يقول : «وإنما نُقدم على ما أقدموا، ونحجم عما أحجموا وننتهي إلى حيث انتهوا» .<sup>(1)</sup>

هذا، وإن ما سقناه، ههنا، لا يفيد، بأي صورة من الصور، كونه جرحه للبلاغيين القدماء والمحدثين على حد سواء، ولا هو قدح أو غمز في أجهزتهم القرائية، ولا حتى تركية لما نحن آخذين به في هذه الدراسة؛ فنحن لا ولن نزيغ إلى ذلك البتة، بل نحن أكثر سعيًا إلى المحافظة على الرؤية النقدية التراثية التي تسعفنا في بحث وإحياء التفكير البلاغي وتقريبه من المتلقين . إن قصارى ما نبتغيه، هو أن يكون القارئ- أي قارئ- في دور الفاعل المنتج لا في دور المستقبل المستهلك الذي يدعي في غير ما شك، أنه يلبس التراث البلاغي لبوسا يتماثل مع العصر وتحولاته، في الوقت الذي لا يعمل إلا على تقويض مسيرته بلا حجة ولا دليل . نقصد: أن تكون قراءته قراءة إضاءة، تحقق وعيا جديداً بما تم التواضع عليه، لا قراءة ترجمة تأتم بمن قبلها في صورة رتيبة ومكرورة.<sup>(2)</sup>

---

= (البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها) عبد الرحمان حبنكة الميداني . 1996 .

-(علم البديع) محمد حسن المراغي 1999 ...

(1) (الحيوان) الجاحظ . تخ: عبد السلام هارون، ط 1/ 1943 - ج 1 ص 211 . وانظر (الأصول) تمام حسان . ط 1 . 1981 . ص . 358 - و(قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية) محمد عيد - ط 1989 . ص . 110 - 121 .

(2) انظر (درس السيميولوجيا)، رولان بارت . ترج: عبد السلام بن عبد العالي . ص 63 . و(النظرية الأدبية المعاصرة) رامان سلدن ترج: جابر عصفور . ط 1 - 1991 . ص 181 =

صحيح أن أي قارئ منصف لا يستطيع أن يتجاهل - لحظة قراءته - للأساس الذي قام عليه مبحث التورية - سياق الموقف ، وسياق النص ، ومعطيات السياق الحضاري المشترك<sup>(1)</sup> الذي تفضي إليه مدلولات ألفاظ التورية . ومن الثابت كذلك ، أنه من الخطأ الكبير ، بل الجرم العظيم أن تخيلنا عند دراستنا للمحسنات البديعية المعنوية بعامه ، مسألة استقلالية قراءات البلاغيين المحدثين والمعاصرين عن قراءات البلاغيين والنقاد القدماء . إن قراءتهم تلك ، تمثل معنى " السائد " بما استقرت سلطته أو نفوذه على القراء المعاصرين ، وذهب فيهم أثره فأصبح يوجه تأويلاتهم ويبنى ذواتهم كحضور يتشكل على الدوام ، ويؤمن لهم الاندراج في المستقبل . بعبارة أخرى ، إنه في مثل هذه الحالات يظل المتلقي في حاجة ماسة إلى سُنن تسنده ونماذج قرائية متأصلة توجهه ، كما هو في حاجة إلى ضمان اتصال القيم واسترسالها ؛ لا سيما في مجتمع يتزعزع فيه الإيمان بالهوية ويرمي إلى صنع الواحد المتكرر<sup>(2)</sup> . إن الذي نشأ في أحضان الموروثين الشعري والنقدي ، وتشبع بضوابط التواصل البلاغي كما هي

---

= من الدراسات التي حاولت أن تقرب الفكرة البلاغية عامة والبديعية خاصة ، بأسماء وقراءات جديدة إلى الجيل المعاصر ، نلفي على سبيل المثال :

- (البلاغة العربية أصولها وامتداداتها) لمحمد العمري ، (الصورة الشعرية) لمحمد الولي ، و(البلاغة والأسلوبية) ، و(بناء الأسلوب في شعر الحداثة : التكوين البديعي) وكلاهما لمحمد عبد المطلب . و(البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية) لجميل عبد المجيد . و(قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية) لمحمد عيد . و(وصف اللغة العربية دلاليا) لمحمد يونس علي . . .

(1) انظر مقال الدكتور عز الدين اسماعيل (قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني) ص 43- 44 ، ضمن (فصول) ع 3- 4/ 1987 .

(2) انظر (ندوة : مجادلة السائد) حمادي صمود ، كلية العلوم الإنسانية ، تونس ، ج 1/ 2002 . ص . 14- 15 .

عند الائمة السابقين ، لابد أن يكونَ هذا هو حال أفقه في استعادة أبعادها الجمالية والتعليمية التبليغية . وبالتالي حفها بكل أشكال التقدير والاحترام . لكنه - في الآن ذاته - ليس صحيحا البتة ، أن يتلقاها كما هي ، وكما اتفق على تواترها ، تحت ذريعة « ليس هناك أبدع مما كان » ، ومن ثم شرط القراءة التأويلية ، أن يعاني صاحبها ما عاناه القراء السابقون ، في سبيل فهم النص وشرحه وتأويله على طريقتهم الخاصة ، <sup>(1)</sup> بل لابد من قراءة مختلفة لا متطابقة ، وقارئ واحد لا متعدد ، ما هو المفروض على النص ، ولا النص مفروض عليه . . . <sup>(2)</sup> قراءة توازي الخضوع لأفق الصورة التأويلية المنفتحة ، التي تراعي الحتمية التاريخية وخصوصيات الوحدات المعرفية المتحركة في أفق القارئ المعاصر .

إنه لا شيء يضطرنا إلى أن نلتصم آفاق القراءة الشعرية المتواضع عليها بحجة أن الغاية التعقيدية النظرية من الشاهد البلاغي هي دائما وأبداً ، غاية « الشاهد السلطة » - (argument d'autorité) الذي لا يمكن تجاوزه ، لأنه أكثر عصمة لنا من المزالق والسقطات . ثم إنه بالقدر ذاته ، لا شيء يضطرنا إلى أن نستبدل ألفاظ البلاغة العربية ألفاظا تنتمي - تمثيلاً - إلى الأساليب الحديثة بشقيها الوظيفي والشكلي ، بحجة أننا نريغ امتلاك وعي منهجي جديد ، نؤسس من خلاله لبناء بلاغة عربية جديدة <sup>(3)</sup> . لقد وضح في مقام التأويل الشعري أن أفق التواصل البلاغي

---

(1) (المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب) ، د. ادريس بلمليح ، ص . 549 .

(2) مقال (البلاغة العربية) مرجع مذكور ، ص : 41 .

(3) (انظر المراجع التالية : مجلة (حوليات) كلية اللغة العربية ، مراكش 9 ، 1997 ، ص . 123 وما بعدها . (مقال عبد الجليل هنوش) . و (البديع : تأصيل وتجديد) لمنير سلطان . و (البلاغة العربية في ثوبها الجديد : علم البديع) لبكري شيخ أمين . و (علم البديع : رؤية جديدة) لأحمد فشل .

أفق مركب وممتد . لهذا ، فالمعنى الشعري الذي يريده الشاعر ، أو يتصوره نحواً من التصور يصبح معنى منفلاً بالنسبة للمتلقى الذي لا يكاد يدرك منه سوى بُعد جزئي باهت قد يكون أراد الشاعر وأراد غيره في آن واحد، <sup>(1)</sup> وهذا يصدق كثيراً على جميع الأبيات الشعرية التي جعلناها مدار دراستنا ها هنا .

لهذه المؤديات والحقائق ، نتساءل : من ذا الذي منع - تمثيلاً لا حصراً - أصحاب المظان التالية : (تحرير التحبير) و(الطراز) و(طراز الحلة) و(خزانة الأدب) و(الصنيع البديع) من أن يذسّوا انزياحهم عن سياق التفسير الذي حد في إطاره العالمان ، ابن رشيق وابن الأثير ، الأبعاد التصورية والخلفيات المحددة لمقصدية البحتري وعمر بن أبي ربيعة والمتنبّي ، لحظة ابداعهم الشعري . والحال أن القراءة تأويل ذاتي لكلام شعري يمتلك طاقة فنية لا تموت . بصيغة أخرى ، من ذا الذي صدّهم عن بناء تصور شعري جديد للأبيات المستدل بها ، يأخذ بعين الاعتبار سياقها التخيلي ، وشروط تطور بنياتها الدلالية ، خاصة إذا علمنا أن المسافة التاريخية الفاصلة بين العلماء الستة ، تبتدئ بنصف قرن وتتضاعفُ صُعُداً لتصلَ إلى ستة قرون؟! !

إنه في سياق هذا الاستفسار حول الامتداد التاريخي للشاهد البلاغي / السلطة وتعدد الدلالات وحرية التأويل ، يمكن القول بأنه لا أحد يستطيع أن يحدد ويعين على وجه التسليم ، بأن أفق توقع هذا القارئ أو ذاك قد أصيب بالتخيب ، لحظة شروعه في قراءة وحدات معجمية ، من

---

(1) (المختارات الشعرية) ادريس بلمليح - ص 366-367 .

قبيل (تملح، سهيل، النقط، حبيب، الجفون، الغزالة، الشريا، . . .) ولنفترض أننا أمام أستاذ للبلاغة المدرسية قادر على النهوض بأعباء هذه العملية مع تلامذته، أفليس من حقنا عكس الصورة، واعتبار ما عده الأستاذ معنى قريب المأخذ، هو في أصل التمثلات الذهنية للتلاميذ معنى بعيد المأخذ؟ وعندها ستزول الطاقة الإدهاشية، التي تتمتع بها هذه الوحدات، خاصة عندما ندرك بأننا حملنا منشئها على قصد ما لا يريدون قصده؟! فأين يكمن، إذن، ملء الفراغ الدلالي: هل في المورى به أم في المورى عنه؟ أم في تصور ذهني جديد لا قبل للكفاية الشعرية عند الشاعر به؟

إنها إشكالات صعبة المعالجة، وتتطلب قسطاً وافراً من تحصيل المعرفة بما إذا كان القارئ مضطراً دوماً، تحت إكراهات الموجهات النصية، وكذا الغايات التلقينية والتحصيلية إلى أن يتقرى مقصدية الشاعر، أم أنه يحتفظ لنفسه بحرية التأويل خارج سياقاتها الخطية. إنك ترى من العلماء - يقول الجرجاني - «من قد تأوّل في الشيء تأويلاً وقضى فيه بأمر، فتعقده اتباعاً له، ولا ترتاب أنه على ما قضى وتأول، وتبقى على ذلك الاعتقاد الزمان الطويل، ثم يلوح لك ما تعلم به أن الأمر على خلاف ما قدر». (1)

إن وحدات معجمية، مثل (حرف، دال، سهيل، شاة، حبيب، ثعلب . . .) المتضمنة لمداخل إبداعية جمالية ذات علاقة متطابقة في تمثيلاتها الصوتية، (2) عندما يتلقاها القارئ في القرن الواحد والعشرين،

(1) (دلائل الإعجاز) ص 553.

(2) (التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم) ص 181.

فإنه سيصاب، لا محالة، بدهشة وغرابة كبيرتين، ولن يكون بوسعه، في أغلب الأحوال، ضبط احتمالاتها وتحقيق معانيها المتنافسة. والذي نعتقد به، أن ذلك يعود إلى:

أ- تقادم العهد بمثل هذه الوحدات، أو قلة شيوعها، بدلالاتها المختلفة والمتباينة في المجتمع الذي يكتنف القارئ.<sup>(1)</sup>

ب- طبيعة العلاقة التي يبينها القارئ مع تلك الوحدات؛ والمتمثلة في قلة تجربته معها، حيث تتدنى معرفته بالطفرة الدلالية التي تصيب الألفاظ. وبتدنيها يتدنى تحقيق شرط قابلية فحصها ومدارستها. وبالنتيجة تتضاءل حظوظه في صياغة أسئلة أكثر تنوعاً وانفتاحاً. كما أنها تتمثل في القطيعة المعرفية التي يقيمها، ليس مع موروثه الشعري وحسب، بل كذلك مع الشعر العربي الحديث في مراحل تطويره وتجديده. فالمجاز القديم مثلاً، قد يموت بالنسيان ويضعف بالاستحضار المسيطر، وقد يكون مصيره إلى الحقيقة، لكنه قد ينتعش بالتناسي وركوب طريق التوهم والادعاء. والحقيقة القديمة قد تصير مجازاً، وقد يكون مصيرها إلى الزوال والامحاء، وتبقى إذا قُدر لها البقاء تنتقل من مجال إلى آخر جيلاً بعد جيل وذلك هو التطور الدلالي<sup>(2)</sup>. والأمثلة على ذلك كثيرة.

---

(1) انظر (الوساطة بين المتنبي وخصومه) للقاضي الجرجاني. تخ: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. ط عيسى البابي الحلبي، ط 4/ 1966. ص. 417.

(2) انظر بهذا الخصوص (الخصائص) لابني جني، ج 2، ص. 447.

و(البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول) لمحمد العمري، ص. 178.

و(دلالة الألفاظ) لإبراهيم أنيس، ص. 127.

قال أحمد شوقي : (كامل)

يا مُرْسِلَ النَّظَرَاتِ فِي الدُّنْيَا وَمَا      فِيهَا عَلَى ضَجَرٍ وَضِيقِ ذِرَاعٍ  
وَمُرْفَرِّقَ الْعِبَرَاتِ تَجْرِي رِقَّةً      للعالم الباكِي مِنَ الْأَوْجَاعِ<sup>(1)</sup>  
فمن خلال دوال البيتين ، يمكن للمتلقي أن يستدعي ويستحضر  
المدلولات التالية :

- النظرات ، جمع نظرة ، وهي «النظرات نفسها» المصنفة ضمن  
حقل الحواس . وأن العبرات ، جمع عبرة ، وهي «العبرات عينها» ، أي  
الدموع وهي مصنفة كذلك ضمن حقل الحواس . وهذا هو وجههما  
المعروف والمتداول في (أصل) اللغة ، مما يفترض الإقرار بالشوابت  
المرجعية اللغوية المشتركة ، بين القارئ والشاعر أحمد شوقي .

- لا يبعد أن يكون المعنى السياقي في نص شوقي ، يشير إلى العالم  
السوداوي القاتم ؛ الفائض بالآلام والأوجاع ، لذا ، فإن الذي ينظر إليه  
بعطف ، وإحساس مرهف ، لا يسعه إلا أن يفيض بالدمع عليه . وهذه  
قراءة<sup>(2)</sup> تؤتى الاتساع من معنى اللفظتين لا من اللفظتين في نفسيهما .

لكن هل بإمكان هذا القارئ أن يتصور ، بنحو من التصور ، أن  
أحمد شوقي عندما وظف لفظتي (النظرات) و(العبرات) ، إنما يحيل  
بهما إلى معطيات خارج نصية ، تتمثل في كتابين مشهورين بهذين  
الإسمين ، ألفهما الكاتب والشاعر مصطفى لطفي المنفلوطي ؟ إننا نعتقد

(1) ديوان أحمد شوقي (الشوقيات) ج 3 ص 94 ، بيروت . بدون تاريخ .

(2) انظر (البيان والبدیع) لناصر حلاوي وطالب محمد الزوبعي . ط 1 / 1966 .

ص . 203 .

العكس، طالما أن ذخيرته اللغوية والثقافية لم تكن محملة بمثل هذه النصوص الإبداعية. أي أن الرصيد اللغوي المتجذر في السياق الاجتماعي، الذي يفترضه السياق المقامي (Contexte situationnel) مغيب من الذخيرة القرائية لدى المتلقي.<sup>(1)</sup>

وإذا كان الشأن كذلك، فأتأمل لهذا القارئ ضعيف التجارب والخبرات، ناقص المخزون الفكري والثقافي، أن يدرك ما إذا كان الشاعر البديعي، شمس الدين بن جابر الأندلسي (698- ت 780 هـ) صاحب (الحلّة السيرا في مدح خير الورى)، قد طلب منه أن يتجاوز، لحظة قراءته لوحداث معجمية في أبيات نظمها، محتواها الحرفي المباشر، والمستعمل بحسب الوضع الاعتباري للتواصل اليومي،<sup>(2)</sup> إلى البحث عن محتواها الثاني، أو معناها المسكوت عنه المصاحب للمحتوى الأول. يقول:

عرائسُ مدحي كم أبينَ لغيره	فلما رآته قلنَ هذا من الأكفا
نوادِرِ أدابي ذخيرة ماجد	شمائل كم فيهن من نكت تُلفا
مطالعها هنَّ المشارفُ للعلا	قلائدُ قد رآقت جواهرها رصفا
رسالةُ مدحي فيك واصلة وكي	مسالك تهذيب لتنبيه من أغفا
فيا مُنتهى سؤلي ومحصولُ غايتي	لأنتَ امرؤ من حاصلِ المجد مستصفا

وقد حاول شهاب الدين الغرناطي، أن يوضح المعاني البعيدة المتسترة خلف الوحدات المعجمية المورى بها في هذه الأبيات قائلا:

- 
- (1) انظر بهذا الشأن، (البيان والبديع) طالب محمد الزوبعي، ص. 203-2205.  
(والدلالة والمرجع: دراسة معجمية) ديكر ووتودوروف، ضمن كتاب (المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث)، ترج: عبد القادر قنيني. ص 27 و38-39.  
(2) انظر (المختارات الشعرية وأجهزة تلقائها) د. ادريس بللمليح، ص 468-469.



«فقد اشتملت هذه الأبيات الخمسة على التورية بعشرين كتاباً: «العرائس» في قصص الأنبياء للشعالبي، و«النوادر» لأبي علي القالي ولغيره «والذخيرة» لابن بسام، ولغيره، «والشمائل» للترمذي، «والنكت» لعبد الحق الصَّقَّيْ وَلغيره، «والمطالع» لابن قرمول ولغيره، «والمشارك» للقاضي عياض ولغيره، «والقلائد» لأبي الفتح بن خاقان ولغيره، «والجواهر» لابن شاش ولغيره، «ورصف المباني في حروف المعاني» للأستاذ بن عبد النور، كتاب لم يصنّف مثله في فنه، «والرسالة» لابن أبي زيد ولغيره، «والواصل» لابن حبيب، «والمسالك» للبكري ولغيره، «والتهذيب» في اختصار المدونة وغيره، «والتنبيه» لأبي إسحق ولغيره، «ومنتهى العقول» لابن الحاجب «والمحصول» للإمام، والغاية للنووي، «والحاصل» مختصر المحصول، «والمستصفي» للغزالي ولغيره». (1)

ثم كيف يمثل هذا النموذج من القراء أن يدرك - ودرجات الوثوق بمقاصد الشعراء من الأمور المشكوك فيها - أن الحرف، تعني حرف الهجاء وفي الآن ذاته، الناقة. وأن اجتماع الموصفات الواردة في بيت المعري، دليل بين القسمات على ضعف تلك الناقة. وأن سهيلاً يفيد الكوكب وابن عبد الرحمان بن عوف في آن. وأن التدافع المعنوي واقع بين جفون الأعين وجفون السيوف، في بيت يحيى بن منصور. .؟ وقس على هذا باقي الشواهد الشعرية التي أثبتتها البلاغيون والنقاد في مبحث التورية. إن مثل هذا القارئ لا يمكنه أن يدرك تصاريف الكلام من كل

(1) (طراز الحلة وشفاء الغلة) ص 454.

تلك الوحدات وإن كانت مندغمة في نظم سليم من التعقيد والاستكراه ، لا تشكل كل كلمة فيه بانفرادها على أدنى العامة ما دام أن ثقافته اللغوية لا تتوازي ولا تتماثل مع الثقافة اللغوية التي يختزنها الشاعر . إن لكل كلام شعري فقهه ومنطقه ، لذلك فإن معرفة فقه اللغة التي كتب بها ذلك الكلام ، تكون أحد المداخل المهمة لقراءته ، وفهم معانيه المبهمة والملتبسة .<sup>(1)</sup>

إن فقدان القارئ المعاصر لهذه الذخيرة اللغوية المتوارثة ، إنما يكون مظنة لجفاء طبعه وانصراف خاطره<sup>(2)</sup> عن التواصل إيجاباً مع التراث البلاغي ، من خلال فهم حقائق المغزى من قراءة وإعادة قراءة الشعر العربي . كما أن تناقص تلك الذخيرة يسهم ، إلى أبعد حد في عرقلة مسيرة الاكتشاف : اكتشاف ما تشف عن التصريح به مباحث البلاغة العربية ، من قيم وجدانية وفكرية وجمالية . إن مباحث البلاغة العربية لا يمكن أن تضمن استمرارها الزمني وامتدادها التاريخي ضمن فضاء البلاغة العالمية ، إلا في سياق «السؤال البلاغي» المبني على الاحتمالات والممكنات القرائية ، لا على التمثيلات النمطية والبناءات الثابتة<sup>(3)</sup> . لذا وجب التأكيد على أن ثراء الحصيلة اللغوية وتنوع مشاربها ومستوياتها

---

(1) انظر (الهرمينوطيقا والتأويل) حسن حنفي - (كتاب مشترك) ص 19 .

(2) انظر (الخصائص) لابن جني . ط دار الهدى ، بيروت . ط 3 ، ج 1 / 218 .

(3) انظر بهذا الشأن :

- J. F. Richard: (Les activités mentales), edit. Armand Colin, Paris, 1990.

وكتاب (الكفايات في التدريس بين التنظير والممارسة) . كتاب مشترك . منشورات مجلة علوم التربية ، رقم 13 ، ط 1 / 2004 ، ص . 98-100 .

عند المتلقي، هما من الأسس المهمة في التوليف بين الضوابط التي تبني منطق التواصل التفاعلي بين أسئلة البلاغة العربية وأجوبة المتلقين من ناحية، وبين أسئلة المتلقين وأجوبة البلاغة العربية من ناحية أخرى. (1)

هذا، ومن الطبيعي أن يفترض القارئ أن حصيلته اللغوية، لا يمكن أن تكون حية (2) متجددة، وثرية طيعة، إلا إذا استخدمت، وتجدد حضورها في الذهن ودارت في الذاكرة وترددتها الألسن وتداولتها الجماعة في كل لحظة وحين.

---

(1) بخصوص منطق السؤال والجواب، ينظر:

(Pour une esthétique de la réception) p. 60 - (74 - 75) - 113 - 248.

(2) انظر (الحصيلة اللغوية) أحمد محمد المعتوق - سلسلة (عالم المعرفة) ع 212 . 1996 . ص 26 . و(تاريخ اللغة العربية) لجرجي زيدان، دار الحداثة، بيروت، 1980، ص 31-32.



## قائمة المصادر والمراجع

### أ- المصادر العربية :

- القرآن الكريم
- أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني - تح : رشيد رضا - ط 4 / 1947 .
- الأصول ، دراسة ابيستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي : تمام حسان . دار الثقافة ، الدار البيضاء - 1981 .
- الأدب والواقع : مقالات مترجمة - عبد الجليل الأزدي ومحمد معتصم ، نشر تينمل 1991 .
- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) - تح : أبو الفضل ابراهيم - دار الكتاب العربي ، بيروت ط 2 / 1967 .
- إشكالية القراءة وآليات التأويل : نصر حامد أبو زيد . المركز الثقافي العربي - ط 2 / 1992 .
- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة : ركن الدين محمد بن علي الجرجاني : تح : عبد القادر حسين ، ط دار نهضة مصر ، ط 1 - 1982 .
- الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني . شرح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي . المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر . ط 3 / 1993 .

- بيان إعجاز القرآن : أبو سليمان الخطابي - ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام - دار المعارف، القاهرة. ط 2/ 1968.
- البديع في نقد الشعر : أسامة بن منقذ. تح: أحمد بدوي وحامد عبد المجيد. ط، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة- 1960.
- البرهان في وجوه البيان : اسحاق ابن ابراهيم بن وهب. تح: حفني محمد شرف. مكتبة الشباب، القاهرة. 1969.
- البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول : محمد العمري. إفريقيا الشرق، البيضاء. ط 1- 2005.
- البلاغة العربية : الأصول والامتدادات : محمد العمري، إفريقيا الشرق، البيضاء، ط 1- 1998.
- البيان والبديع : ناصر حلواني وطالب محمد الزويجي. دار النهضة العربية- بيروت. ط 1/ 1996.
- البيان والتبيين : أبو عمرو الجاحظ. تح: عبد السلام هارون. دار الفكر، بيروت. ط 4/ ب ت.
- تاريخ اللغة العربية : جرجي زيدان، دار الحداثة، بيروت، 1980.
- تحرير التحبير : ابن أبي الأصبع. تح: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة- 1383 هـ/ و ط. 1995.
- تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص : محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، البيضاء (المغرب) ط 1/ 1985.
- التأويل بين السيميائيات والتفكيكية : امبرطو ايكو- ترج: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، البيضاء ط 1/ 2000.

- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية : مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1/ 2005.
- التواصل، نظريات ومقاربات : ترج: عز الدين الخطابي وزهور حوتي . منشورات عالم التربية . ط1- 2007 (المغرب).
- التورية وخلق القرآن الكريم منها: محمد جابر فياض، ط2/ 1989.
- التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم: محمد غالم. دار توبقال، البيضاء (المغرب)، ط1/ 1987.
- الحصيلة اللغوية: أحمد محمد المعتوق. سلسلة (عالم المعرفة) ع 212، 1996.
- الحيوان: أبو عمرو الجاحظ. تح: عبد السلام هارون. ط1/ 1943.
- خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي- المطبعة الخيرية، مصر. ط1/ 1304 هـ.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني. تح: محمد علي النجار. دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت. ط3.
- درس السيميولوجيا: رولان بارت- ترج: عبد السلام بن عبد العالي. دار توبقال البيضاء- ط1/ 1986.
- دلالة الألفاظ: ابراهيم أنيس، طبعة الأنجلو المصرية. 1958.
- دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني. تح: محمود محمد شاكر. مطبعة المدني. (المؤسسة السعودية بمصر)- ط3/ 1992.
- دلائليات الشعر: مايكل ريفاتير- ترج: محمد معتصم. منشورات، كلية الآداب- الرباط. ط1/ 1997.

- دينامية النص : محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، البيضاء (المغرب) ، ط 1- 1987 .
- ديوان أحمد شوقي ، (الشوقيات) بيروت . ب ، ت .
- ديوان عنترة بن شداد : شرح الأعلام الشتمري-تح : سعيد مولوي . المكتب الإسلامي . ط 2 / 1983 .
- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة : الشريف السبتي ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1344هـ .
- روضة الفصاحة : زين الدين أبو بكر الرازي . تح : أحمد النادي شعله ، دار الطباعة المحمدية ، الأزهر الشريف - ط 1 / 1982 .
- الروض المريع في صناعة البديع : ابن البناء المراكشي . تح : رضوان بن شقرون ، دار النشر المغربية ، البيضاء ، 1985 .
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي = معجز أحمد : أبو العلاء المعري . تح : عبد المجيد دياب . دار المعارف ، مصر - ط 2 / 1992 .
- شرح ديوان الحماسة : أبو علي المرزوقي - تح : أحمد أمين وعبد السلام هارون - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة . 1951 .
- شرح ديوان المتنبي : الواحدي النيسابوري - نشر : فريدراخ ديتريخس . برلين - 1861 .
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم) . تح : عبد السلام محمد هارون . (سلسلة ذخائر العرب) دار المعارف - مصر ، ط 4 / 1980 .
- شرح القصائد العشر : صناعة الخطيب التبريزي - تح : فخر الدين قباوة . منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت . ط 4 / 1980 .



- شروح التلخيص : التفتازاني ، ابن يعقوب المغربي ، بهاء الدين السبكي . ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري . كتاب (الجهاد والسير) .
- صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية : بول ريكور : ترج : منذر عياشي . ط دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان ، ط 1 - 2005 .
- الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع : ابن زاكور الفاسي ، تح : بشرى البدوي - منشورات كلية الآداب ، الرباط - ط 1 / 2002 .
- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي - تح : محمود محمد شاكر - ط المدني ، جدة . 1980 .
- طراز الحلة وشفاء الغلة : أبو جعفر شهاب الدين الغرناطي - تح : رجاء السيد الجوهري - مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية 1990 .
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة العلوي ، تح : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ط 1 / 1995 .
- علم البديع : عبد العزيز عتيق . دار النهضة العربية ، بيروت . 1985 .
- علم البديع ، دراسة تاريخية لأصول البلاغة ومسائل البديع : عبد الفتاح بسيوني . دار المعالم الثقافية ومؤسسة المختار ، القاهرة . ط 2 / 1998 .
- العربية والغموض : حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية . ط 1 / 1988 .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني - تح :

- محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت. ط 5/ 1981. وتح: محمد قرقران. دمشق ط 2/ 1994.
- العمل الديني وتجديد العقل: طه عبد الرحمان. المركز الثقافي العربي، البيضاء، ط 2/ 1997.
- الفروق في اللغة: أبو هلال العسكري-تح: محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، ط الحلبي، القاهرة. 1952.
- قضايا اللغة في كتب التفسير: الهادي الجطلاوي. دار علي الحامي. تونس، ط 1/ 1998.
- القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية: أحمد طايبي، منشورات زاوية للفن والثقافة. الرباط. ط 1/ 2007.
- كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري. تح: محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، القاهرة. 1952.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، مكتبة المتنبي، بغداد. (بدون تاريخ).
- لسان العرب المحيط: ابن منظور. دار لسان العرب ودار الجيل، بيروت، 1988.
- ما اتفق لفظه واختلف معناه: ابن الشجري-تح: عطية رزق. ط بيروت. ط 1/ 1992.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير-تح: محي الدين عبد الحميد. ط الحلبي، مصر. 1939.
- المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب: ادريس بلمليح. مطبعة النجاح الجديدة. ط 1/ 1995.

- المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث : مقالات مترجمة ، عبد القادر قنيني . إفريقيا الشرق ، البيضاء . ط 2 / 2000 .
- مجادلة السائد : حمادي صمود ، كلية العلوم الإنسانية ، تونس . ج 1 / 2002 ( ندوة ) .
- المجاز والتمثيل في العصور الوسطى : ( كتاب مشترك ) . دار قرطبة . البيضاء ط 2 / 1993 .
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : عبد الله الطيب ، بيروت ، ط 2 / 1970 .
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي - تح : أبو الفضل إبراهيم ومن معه . المكتبة العصرية ، بيروت . 1987 .
- مفتاح العلوم : أبو يعقوب السكاكي . تح : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- مفهوم الشعر : جابر عصفور ، دار الثقافة للطباعة والنشر - 1978 .
- معجم البلاغة العربية : بدوي طبانة . دار ابن حزم ، بيروت . ط 4 / 1997 .
- مقالات في الشعر الجاهلي : يوسف اليوسف ، دار الحقائق ، بيروت . ط 3 / 1983 .
- مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمان بن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1961 .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني - تح : الحبيب بلخوجة . دار الغرب الإسلامي . ط 3 / 1986 .
- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي : أحمد المتوكل . دار الأمان ، الرباط . ط 1 / 2006 .

- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع : السجلماسي ، تح : علال الغازي . مكتبة المعارف . ط 1 / 1980 .
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : فخر الدين الرازي . تح : بكري شيخ أمين دار العلم للملايين - ط 1 / 1985 .
- النظرية الأدبية المعاصرة : رمان سلدن - ترج : جابر عصفور . دار الفكر . ط 1 / 1991 .
- الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي الجرجاني : تح : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي . ط عيسى البابي الحلبي . ط 4 / 1966 .
- الهرمونيظقا والتأويل : (كتاب مشترك) . دار قرطبة ، البيضاء ط / 2 / 1993 .

## ب- المجلات :

- حوليات : مجلة كلية اللغة العربية ، مراكش . ع 9 - 1997 .
- دراسات أدبية لسانية سيميائية - ع 7 / 1992 .
- علامات - ع 10 / 1998 .
- فصول - عدد خاص عن (الأسلوبية I) 1984 .
- فصول - ع 3 : 4 (مجلد 7) ، 1987 .
- فكر ونقد ، ع 25 - 2000 (المغرب) .
- الفكر العربي المعاصر - ع 38 / 1986 .
- الفكر العربي المعاصر - ع 60 - 61 / 1989 .
- المجلة العربية للعلوم الإنسانية - ع 91 / 2005 .
- مجلة المجمع العلمي العراقي - ابريل . 1983 .

- مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين . ع12 / 2006 .
- المناظرة، ع 6 / 1993 .
- المناهل، ع 62-63 . وزارة الثقافة المغربية .

### ت- المراجع الأجنبية :

- L'acte de lecture: Théorie de l'effet esthétique. W. G. Iser, Bruxelles 1985.
- Les activités mentales. J.f. Richard. edit: Armand Colin, Paris, 1990.
- La Communication par la bande. D. Bougnous, édit: La découverte, Paris, 1991.
- Dynamique des Communications dans les groupes-Gilles amado et andré guittet, edit. Armand Colin, Paris, 1991.
- Les formes de la communication. Jacques Durand. edit. Dunod, Paris, 1981.
- Le Langage (Notions de philosophie I). Jean-claude Pariente, Gallimard, Paris, 1995.
- Pour une Esthétique de la réception. H. R. Jauss, Gallimard. Paris, 1978.
- Pour une hermeneutique litteraire. H. R. Jauss, Gallimard. Paris, 1988.

### ث- مراجع الأنترنت :

- [www.er.uqam.ca/nobel/d364101/pragmatique.shtml](http://www.er.uqam.ca/nobel/d364101/pragmatique.shtml).
- [www.medelomari.free.fr](http://www.medelomari.free.fr).
- [www.14.masom.com](http://www.14.masom.com).
- [www.taarab.ws](http://www.taarab.ws).



## فهرس الموضوعات

1. مدخل ..... 17
2. في مسألة الاشتراك اللفظي ..... 32
3. الإيهام المقصود ..... 39
4. التواصل البلاغي في النص الشعري ..... 48
1. 4. موجهاات فعل القراءة ..... 50
2. 4. المعنى الشعري وسنن القراءة ..... 73
- ..... قائمة المصادر والمراجع 93
- ..... فهرس الموضوعات 103



د. أحمد طاجري

- أستاذ باحث
- دكتوراه في النقد الأدبي
- دبلوم الدراسات العليا D.E.S في الأدب العربي
- خريج المدرسة العليا للأساتذة
- صدر له :
- "القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة".
- قيد الطبع :
- "الذات المغربية ومسالك التأصيل".
- "نص القراءة لدى المغاربة".

إنه لا شيء يضطرنا إلى أن نستبدل بمفاهيم الدرس البلاغي القديم مفاهيم تنتمي - تمثيلاً - إلى الأسلوبيات الحديثة، بحجة أننا نريد إلى تأسيس وعي ببلاغة عربية جديدة ومتجددة. ثم إنه بالقدر ذاته، لا شيء يضطرنا إلى أن نلتمس أفقا للتواصل البلاغي يستوعب معطيات الحاضر في أسئلة الماضي، بدعوى أن الغاية التقعيدية النظرية من الشاهد البلاغي، هي دائماً غاية "الشاهد السلطة" الذي لا يمكن تجاوزه، لأنه أكثر عصمة لنا من المزالق والسقطات.

لقد وضح في مقام التواصل البلاغي المنتج، أن مباحث البلاغة العربية لا يمكن أن تضمن امتدادها التاريخي ضمن أفق البلاغة العالمية، إلا في إطار العلاقة الحميمة والمتصلة التي تربط الحاضر بالماضي وتجعل الإحالة متأخذة فيما بينهما. كما أن هذه المباحث لا يمكن أن تستمر في إنتاج قيم وجدانية وفكرية وجمالية جديدة إلا ضمن السؤال البلاغي، المبني على الاحتمالات القرائية والممكنات التأويلية بدل التمثلات النمطية والبناءات الثابتة.